السبت 4 أيلول 2021
العدد 4429 السنة السادسة عشرة
Samedi 4 septembre 2021 nº 4429 16ème année

24 صفحة
2000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

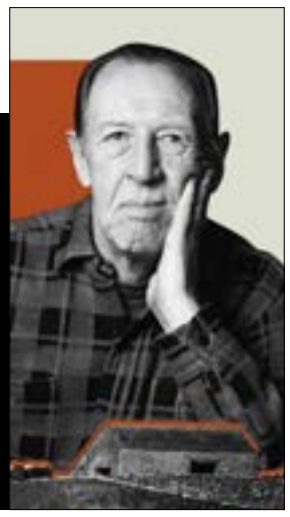

مئوية رايموند ويليامز
استرداد الثّقافة من النّخبة

وثيقة التحقيق الجمركي الفرنسي مع رياض سلامة: نسيتُ أنّ في حقيبتي مالاً! [5]

الأمم المتّحدة عن «الواقع الأليم»: 74٪ من سكّان لبنان يُعانون من الفقر! [4]

«الاقتصاد» تُهدّد الحكومة: النيّة غير موجودة [2]

تركيا في كابول
يدٌ أطلسيّة في أفغانستان

[10 ـ 11]

من مباراة كريكت في العاصمة الأفغانية أمس (أ ف ب)

قضية

فقدان «أدوية الالتهابات» يوازي خطر انقطاع أدوية السرطان

6

تقرير

«مستشار في الديوان الملكي السعودي» في قبضة أمن الدولة

2

قضية

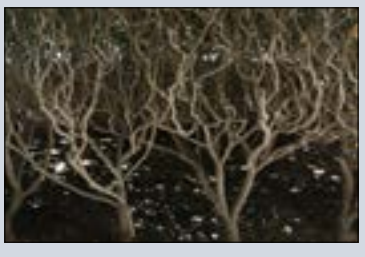

حرارة الأرض
قاتل صامت يفتك بالبشريّة

7

المشهد السياسي

حقيبة الاقتصاد تُهدّد تأليف الحكومة: النيّة غير موجودة

ثمّة أزمة ثقة بدأت تنبت بين فريقَي رئاسة الجمهورية ورئيس الحكومة المُكلَّف، على غرار ما كان أيام تكليف سعد الحريري. اتهامات متبادلة بعرقلة تأليف الحكومة، ظاهرها صراعٌ على حقائب وأسماء، فيما باطنها شكّ بعدم وجود النية أساساً للتأليف. خلف المنافسة للحصول على وزارة الاقتصاد، يكمن سباق لمن يجلس على طاولة المفاوضات مع صندوق النقد، ويوافق على الأموال المُرسلة وكيفية صرفها، والخطّة المالية ــ الاقتصادية للدولة. هو جزء من الصراع على شكل الجمهورية الجديدة والحكم، يحكم عملية التأليف، ويُعرقلها إلى حدّ التهديد بنسفها

(هيثم الموسوي)

في الحكومة المقبلة، سيكون هناك «لجنة ذهبية» تتولّى المفاوضات مع صندوق النقد الدولي. تتألّف هذه اللجنة من وزراء: المالية، الاقتصاد، الطاقة، الشؤون الاجتماعية والاتصالات. وكلّ القوى السياسية تُريد أن تحفظ لنفسها مكاناً فيها. آلت المالية إلى حركة أمل. الشؤون الاجتماعية والطاقة من حصّة رئيس الجمهورية. أما الاتصالات، فلتيار المردة. تبقى وزارة الاقتصاد يتنافس عليها الرئيس ميشال عون ورئيس الحكومة المُكلَّف نجيب ميقاتي، وعند هذه النقطة تكمن العقدة العلنية لتأليف الحكومة.

حكومة الأشهر الأخيرة قبل الانتخابات النيابية (إن أُجريت)، يُفترض بها أن تُطلق قطار الحوار مع صندوق النقد من جديد، بعدما طيّرت بعض أحزاب السلطة

وفد وزاري إلى سوريا اليوم لبحث مذكّرة تفاهم مع دمشق وعمّان والقاهرة بشأن استجرار الطاقة إلى لبنان

وحزب المصرف، بواسطة لجنة المال والموازنة النيابية، «الخطة الإصلاحية» لحكومة الرئيس حسان دياب. وصفة «الصندوق» الجاهزة لكلّ البلدان تتضمّن معالجة العجز في ميزان المدفوعات (صافي الأموال التي دخلت لبنان وتلك التي خرجت منه) وضمان استدامة الدين العام ودفع الفوائد عليه، في مقابل زيادة نسبة الضريبة على القيمة المضافة وإلغاء الدعم وتقليص دور الدولة واعتماد موازنة تقشفية وإعادة هيكلة القطاع العام وتحرير سعر صرف الليرة. هناك «توافق» بين المسؤولين السياسيين والنقديين في لبنان وبين «الصندوق» حول تطبيق هذه الشروط، وقد تكفّل بتنفيذ الجزء الأبرز منها حاكم مصرف لبنان، رياض سلامة على مدى السنتين الماضيتين. الخلاف بين الفريقين يقع حول الخسائر في ميزانيات مصرف لبنان والمصارف، وضرورة إعادة هيكلة القطاع المصرفي، وإطلاق التدقيق الجنائي في حسابات البنك المركزي. انطلاقاً من هنا، تكمن خطورة الأسماء المطروحة لتولّي الحقائب الوزارية التي ستكون على تماس مع «الصندوق». ترك المفاوضات لوزراء «تلاميذ» المؤسسات الدولية، عاملين حاليين فيها، يتشاركون معها الخلفية العقائدية نفسها، يعني تكبيد السكان فاتورة أكبر من تلك التي دفعوها حتى الآن. وفي كلّ البلدان التي وطأها صندوق النقد، كان يشترط إما تعيين وزراء مالية وحكّام بنوك مركزية، أو يضغط لإقالة الموجودين، أو تستبق الحكومات قدومه بتعيينات تُرضيه لتسهيل توقيع الاتفاقيات. فـ«الوالي المالي» لا يُحبّ «المُتمردين». لذلك، حتى وإن كان رئيس الحكومة شخصياً يُغرّد على الموجة نفسها مع «المجتمع الدولي»، من المهم تعيين وزراء يُناقشون ويُفاوضون عن حقّ، ويحاولون تحسين الشروط المفروضة، حماية لما تبقى من طبقات شعبية، عافيتها تعني إعادة إطلاق الاقتصاد وليس العكس. أما خلاف ذلك، فيعني الرضوخ للسياسات الإفقارية والعدائية للمجتمع، مقابل زيادة فاتورة الدين الخارجي.

في السباق للحصول على وزارة الاقتصاد، يرفض فريق رئاسة الجمهورية أن ينتمي وزيرا المالية والاقتصاد إلى الوجهة السياسية نفسها، أي حركة أمل وميقاتي. يُصرّ الرئيس ميشال عون على أن تكون له كلمة في المفاوضات مع صندوق النقد، ولا يُحصر الملفّ ببد حركة أمل، وممثّلها يوسف خليل (مدير العمليات المالية في مصرف لبنان). لا تستقيم هذه الحجّة من وجهة نظر ميقاتي، لأنّ عون سيُسمّي وزيري الطاقة والشؤون الاجتماعية، وهما جزء من لجنة المفاوضات الوزارية. لا يعتبر ميقاتي حصول رئيس الجمهورية على 3 وزراء من هذه المجموعة أمراً منطقياً، فطالباً بإرساء توازن فيها عبر تسميته وزير الاقتصاد. أما بالنسبة إلى القصر الجمهوري، فلا حاجة إلى هذا «التوازن» طالما أنّ ميقاتي هو رئيس الحكومة.

هذا الأخذ والردّ في موضوع وزارة الاقتصاد، وعلى قدر ما يظهر «سخيفاً» أمام تفاقم حدّة الأزمة يومياً، إلا أنّه يعكس الخلفيات التي تتمّ بها عملية التأليف، ولا يُبشّر بالخير على صعيد التنسيق بين القوى بعد إتمام التأليف. يعتقد التيار الوطني الحرّ أنّ النقاش حول «الاقتصاد» دليلٌ إضافي على عدم نيّة ميقاتي تأليف الحكومة، بعد سلسلة من التصرفات التي توحي بأن الرئيس المكلّف لا يريد التأليف. أبرز الأمثلة التي تُقدّم هي تسمية هنري خوري لوزارة العدل. سمّاه رئيس الجمهورية، فرفضه ميقاتي. طرح عون بديلاً من خوري، ريتا كرم. وافق الرئيس المُكلّف على الاسم، قبل أن يتراجع بعد اعتراض رئيس تيار المردة سليمان فرنجية، فأبلغ ميقاتي قصر بعبدا أنّه يرفض ريتا كرم، وأنّه اجتمع مع هنري خوري وقد وافق على تسميته وزيراً للعدل... قبل أن يعود ويسحب موافقته عليه في اليومين الماضيين.

دخول المدير العام للأمن العام اللواء عباس إبراهيم على الخطّ، لم يُثمر حتى الساعة. المعادلة التي طرحها لحلّ معضلة الوزيرين المختلف عليهما من الحصة المسيحية، هي أنّ يُقدّم إبراهيم للرئيس مجموعة من الأسماء، يختار من بينها لائحة، تُقدَّم إلى ميقاتي ليُعيّن من بينها الوزراء. حتى هذه الآلية، لم يعد من المضمون الالتزام بها.

لم يطرأ أي جديد أمس على المفاوضات سوى الانقسام بين وجهتَي نظر. الأولى ترى أنّ النائب جبران باسيل هو المعطّل، برفضه إعطاء وزارة الاقتصاد لميقاتي، وإصراره على تسمية الوزيرين المسيحيين الآخرين، لأنّه يُريد الثلث المعطّل، كما يرفضه منح الحكومة الثقة رغم أنه سينال فيها الحصة الأكبر. التيار العوني يلتزم بنفي مطالبته بالثلث، مُشيراً إلى أنّ من غير المنطقي كلّما تقدّمت المفاوضات أن يُعيدها ميقاتي إلى الصفر.

على صعيد آخر، يتوجّه اليوم إلى سوريا وفدٌ مؤلّف من الوزراء: زينة عكر، ريمون غجر وغازي زعيتر، واللواء إبراهيم، بالتقاء مع وزراء الخارجية والكهرباء والمالية السوريين. وسيُناقش الوفد مذكّرة تفاهم تتعلّق باستجرار الكهرباء من الأردن عبر سوريا، والغاز من مصر عبر الأردن وسوريا.

(الأخبار)

في الواجهة

حكومة السنة الأخيرة تتحضّر لشغور بالجملة

ليست حدّة السجالات الأخيرة بين رئيس الجمهورية والرئيس المكلف، وتالياً تبادل عضّ الأصابع في العقد الأخيرة، سوى الإيذان بأحد خيارين يقبلان عليه. لا ثالث لهما: اجتياز آخر مراحل مخاض تأليف الحكومة، أو طيّ صفحتها إلى شهر على الأقل

نقولا ناصيف

بعد بياني توجيه الاتهامات أحدهما إلى الآخر، ومن ثمّ التوضيحات المسائية المباشرة وغير المباشرة عبر وسائل الإعلام، تبادل رئيس الجمهورية ميشال عون والرئيس المكلف نجيب ميقاتي رسالة إيجابية مشتركة، هي رغبتهما في المضي في التعاون لتأليف الحكومة وتجاوز عقباتها الأخيرة.

مع أن كليهما، منذ تكليف ميقاتي في 26 تموز، أبرزا في الظاهر على الأقل أسلوباً مختلفاً في مقاربة التأليف، خالياً من الأحكام المسبقة والاعتبارات الشخصية والعناد المعلن، من غير أن يتخليا عن السقوف العالية المستمرة منذ تكليف الرئيس سعد الحريري، إلا أنهما أضحيا أسيري معظم ما رافق التكليف السابق، وخصوصاً في معضلتَي أخفق عون والحريري في التفاهم عليهما هما الثلث + 1 والوزيران المسيحيان الأخيران، بينما نجح عون وميقاتي في تجاوز ثالثة المعضلات تلك المرتبطة بملف حقيبتي الداخلية والعدل، وكانت هاتان إحدى الدوافع البريئة المعلنة في أحسن الأحوال التي حملت الرئيس السابق على الاعتذار عن عدم تأليف الحكومة. حيث نجحا بمرور أكثر من شهر بقليل على التكليف في إبقاء القديم على قدمه حيال الحقائب السيادية، وتالياً ترك حقيبة الداخلية بين يدي السنّة والعدل بين يدي رئيس الجمهورية . وكلاهما يعرفان أهمية دورهما في الانتخابات النيابية المقبلة وكذلك فاعلية التدخّل فيها لتوجيه مسارها . لا يزال يتعثر سبل إبراز حسن النيّات بين عون وميقاتي بإزاء ما يتردّد من أن رئيس الجمهورية مصر على الحصول على الثلث + 1 من الحكومة معلناً أو ممؤهاً (تسعة مقاعد).

من حول هذه المعضلة، عاد إلى الظهور الخلاف على تسمية الوزيرين المسيحيين الآخيرين، بعد الأخذ في الحسبان توزّع الوزراء المسيحيين الـ12 على 7 وزراء لرئيس الجمهورية زائداً واحداً لحليفه حزب الطاشناق، و3 وزراء اثنان منهم لتيار المردة وثالث للحزب السوري القومي الاجتماعي.

في التفاوض الدائر في قصر بعبدا، إن تسمية عون أحد الوزيرين المسيحيين المتبقيين، يمنحه ما لا يوافق عليه ميقاتي ومن ورائه الحريري ونادي رؤساء الحكومات السابقين، لكن أيضاً رئيس مجلس النواب نبيه برّي الذي أكده مراراً وآخر المرّات في خطاب 31 آب، ناهيك بحلفاء هذا الفريق دونما احتساب حزب الله بالضرورة، غير المكترث بالثلث +1 وغير المقتنع بجدواه وفاعليته، هو الوحيد الذي يملك سلاح إعطابه في كل وقت كما سلاح منحه لمَن يعوزه.

عند هذا الحدّ يرفض الرئيس المكلف وضع أي من الوزيرين المسيحيين الآخرين في حصة رئيس الجمهورية تفادياً لذاك المحظور. لم يتفق الرئيسان على وضع الوزيرين المختلف عليهما في منطقة محايدة تفصل ما بينهما، ما داما ملزمين تفاهمهما على تسميتهما كي تصدر مراسيم الحكومة. ليس سرّاً أن كلاً من عون وميقاتي يريد موطئ قدم له في أي من الوزيرين هذين على الأقل. يعرفان أيضاً أن أحداً منهما لا يسعه الاستئثار بهما معاً. أضف عاملاً مهماً للغاية يتقاسمانه، وتتقاطع عنده صلاحياتهما الدستورية التي ليس لأي منهما تجاهل ما يملكه الآخر: الرئيس المكلف صاحب الاختصاص الدستوري في اقتراح الوزير المرشح، ورئيس الجمهورية حامل الختم النهائي.

يتساوى الرجلان في فرض الممنوعات: لا يتساهل رئيس الجمهورية حيال تخليه عن مقعد مسيحي يُحتسب في حصة مرجعية إسلامية بلا أي مقايضة، ما دامت كتل السنّة والدروز والشيعة اختارت بنفسها وبمفردها بلا مقاسمة وزراءها. بدوره الرئيس المكلف، على نحو مطابق لوجهة نظر الحريري، لا يوافق على التسليم لعون وحده بالحصة المسيحية كلها. إذذاك يصبح الوزيران المسيحيان الآخيران أثمن بنود صفقة الرئيسين.

باتت هذه العقدة علّة العلل والعقبة الكأداء الموضوعة في عهدة وساطة المدير العام للأمن العام اللواء عباس إبراهيم.

مع أن الاعتقاد السائد أن تنافس الرجلين على المقعدين المسيحيين الأخيرين أو على أي منهما، أياً تكن مواصفات المرشّح، لا يعدو كونه تسابقاً على الحصول على الحصة المثلى لكل منهما، وتعزيز موقعه داخل مجلس الوزراء، لكن أيضاً حيال الحقائب المعوّل على دورها الثمين في مرحلة التفاوض مع صندوق النقد الدولي، ثم في ما بعد البنك الدولي، بشهادة توزّعهما حقيبتي الشؤون الاجتماعية لعون والاقتصاد لميقاتي، بيد أن تسابقاً كهذا يتوخى أيضاً الاستعداد للأخطار المقبلة المرجّحة.

أما أهم حقيقية لدى أي من الأفرقاء المنخرطين في التأليف مع عون وميقاتي، بأنهم أمام حكومة إصلاحات بنيوية جوهرية، على نحو ما نصح به صندوق النقد الدولي ومن قبل مؤتمر سيدر وصولاً إلى المؤتمرات الأخيرة. ليست حكومة إصلاحات تجريها القوى المشكو من أنها وراء تدمير الاقتصاد والنقد الوطنيين، وانهيار كل مقومات الدولة بعد إفلاسها وإفقار شعبها وتغلغل الفساد في المجتمع والشارع. أضف أن مهمتها قصيرة ما بين خمسة وسبعة أشهر، مرتبطة بموعد الانتخابات النيابية المقبلة إذا قبض لمراسيمها إبصار النور في وقت قريب، على أثر هذا الاستحقاق تُعدّ مستقيلة حكماً.

تحدّيان خطيران ينتظران حكومة ميقاتي: تعذّر إجراء الانتخابات النيابية والرئاسية

ليس على نحو كهذا يبصر المسؤولون والمعنيون بتأليف الحكومة ولايتها المقبلة، إذ تواجه استحقاقات ثلاثة على الأقلّ متدرجة الأهمية. إلا أن ثالثها هو الأدهى:

أولها، أنها آخر حكومات عهد رئيس الجمهورية الحالي، ما يجعله في حاجة إلى حكومة يسعه التأثير في دورها ومهماتها، كي تتمكّن من تحقيق حدّ أدنى من الإنجازات، إذا كان لا يزال في الإمكان توقّع أوهام كهذه.

ثانيها، أنها حكومة الانتخابات النيابية المفترض إجراؤها في أيار 2022 تبعاً لمهلها الدستورية. مع ذلك تتساوى حظوظ حصولها مع حظوظ تعذّره من غير أن يكون مضموناً تمديد ولاية البرلمان الحالي، المحفوف بمتاعب لا تقتصر على الداخل، بل سيجبه ما هو أقسى من المجتمع الدولي. مغزى ذلك وقوع مجلس النواب في فراغ دستوري ناجم عن استعصاء إجراء انتخابات عامة جديدة، كما عن إخفاق إمكان تدارك هذه الفجوة الدستورية، ما سيقود البلاد إلى التهديد الأخطر المؤذن بالانهيار الشامل.

ثالثها، بتوقّعات قاطعة وحتمية غير مترجرجة، من غير المحسوب حصول انتخابات رئاسية بانتهاء ولاية عون في المهلة الدستورية ما بين آب وتشرين الأول 2022. الأسوأ في ما يمكن ترجيحه، استمرار حكومة ميقاتي إلى ما بعد نهاية ولاية رئيس الجمهورية الحالي متى تضافر تعطيل الانتخابات النيابية مع تعطيل الانتخابات الرئاسية.

(هيثم الموسوي)

تقرير

«مستشار في الديوان الملكي السعودي» في قبضة أمن الدولة

رضوان مرتضى

ذاع صيت ديبلوماسي سعودي في الروشة يدعى طالب الشبركي الذي يُقدّم نفسه بأنّه مستشارٌ في الديوان الملكي السعودي. يقيم الرجل في أحد المباني القريبة من الكورنيش البحري حيث يُقدّم خدماته. يراسل السفارات ويخاطب القنصليات ويعرض خدماته مرتكزاً على محادثات على الواتساب مع قضاة وقادة أجهزة أمنية. يناديه عارفوه بلقب «المعالي» قبل أن يتبيّن أنّه «محتال». لكن، لم يثبت لدى المحققين في المديرية العامة لأمن الدولة أنه يتقاضى مبالغ مالية لقاء الخدمات التي يقدمها. كما لم يثبت أنّ أحداً دفع له أي مبلغ مالي، علماً أن وضعه المادي مرتاح جداً.

بدأت القصة بادعاء من شركة سفريات بأنّ لها في ذمة «الديبلوماسي السعودي» آلاف الدولارات بدل معاملات وبطاقات سفر. بدأ محققو أمن الدولة جمع المعلومات عن الديبلوماسي المفترض حيث تبين أنه قد راسل السفارة الأميركية طالباً تأشيرات لرعايا سعوديين ومواطنين لبنانيين. سطّر القاضي زاهر حمادة بلاغ بحث وتحر بحقه ثم أعطى إشارته لجهاز أمن الدولة بتوقيفه، طالباً من الفرع الفني تحديد مكانه من خلال هاتفه كي يتم توقيفه من دون أن يتمكن من إخفاء أي دليل. وتمت مداهمته في مطعم في الفالوغا حيث أوقف. ودهمت قوة من أمن الدولة شقّته في منطقة الروشة، لتصادر منها 13 ختماً وأوراقاً باسم السفارة السعودية وبطاقات تعريف باسم مستشار الديوان الملكي السعودي. وهنا تدخلت السفارة السعودية للضغط من أجل ترحيله إلى الرياض، بعدما تبين أنه معارض للنظام السعودي. إلا أنّ ترحيله توقف بعدما تبين أنّ طليقته كانت قد استصدرت قراراً بمنع سفره بعد ادعائها عليه أمام المحكمة الشرعية السنية. هنا طلبت السفارة السعودية من طليقته التراجع عن منع السفر وسحبه لترحيل الشبركي إلى المملكة، لكن تدخلت منظمة دولية لتتقدم بطلب من القاضي لمنع ترحيله على اعتبار أنّ ذلك يشكّل تهديداً لحياته حيث يُحتمل أن يُعدم هناك كذلك طالب وكيله القانوني محمد سيف الدين بمحاكمته أمام المحاكم اللبنانية، معترضاً على ترحيله إلى السعودية. وقد أحاله القاضي حمادة على قاضي التحقيق في بيروت بجرم تزوير أختام رسمية واحتيال.

تقرير

بدء مصادرة بنزين الصقر: التوزيع في زحلة أولاً

بدأت منشآت النفط في الزهراني تنفيذ إشارة المدعي العام التمييزي، القاضي غسان عويدات، بمصادرة المحروقات التي وُجدت في خزّانات تابعة للقيادي في القوات اللبنانية، إبراهيم الصقر وشقيقه مارون. وقد تبيّن بموجب عمليات البحث في اليومين الماضيين، وجود 39 خزاناً بسعة 50 ألف ليتر وليس 38 كما أُعلن سابقاً، بينها 35 خزاناً ملأى بالبنزين و4 خزانات بالمازوت. وستعمد «المنشآت» إلى فحص كلّ خزان للتأكد من أنّ المضبوطات صالحة للاستخدام. وبعد صدور النتائج، ستُستخرج الكميات الصالحة وتُوزّع على المحطات لبيعها بالسعر الرسمي، على أن يكون الجزء الأكبر مخصصاً لمدينة زحلة وقضائها، بحسب ما قرّرت منشآت النفط. عملية المصادرة تتم بكثير من الحذر وبمؤازرة أمنية كبيرة من قوى الأمن الداخلي، خوفاً من أي خطأ قد يؤدي إلى كارثة.

من جهتها، تستمر القوات اللبنانية في تحويل الموضوع إلى «استهداف سياسي» لها، واللعب على الوتر المناطقي والطائفي، في محاولة لإقفال الملفّ وتبرئة الصقر. ويلعب دور المُتحدّث الإعلامي في هذا الإطار النائب «القاضي» جورج عقيص. وعقد أمس مؤتمراً صحافياً في زحلة، مُعتبراً أنّ «وجود القوة الضاربة (التابعة لفرع المعلومات) في محيط منزل الصقر هو رسالة لحزب القوات ولمدينة زحلة، ولن نسمح لأحد بأن يتعدّى على كرامة زحلة ويُعامل أياً من أبنائها كأنّه مجرم أو إرهابي. ونؤكّد للرأي العام أن القوات كانت سبّاقة في مكافحة الفساد وبتقديم كل المقترحات الرامية الى اجتثاث الفساد». عقيص طلب عدم «المزايدة» على القوات في موضوع الفساد، مصوّباً على التيار الوطني الحرّ بالقول: «مَن بيته من زجاج لا يُراشق العالم بالحجارة. ومن يطعن بقوانين إصلاحية مثل قانون الشراء العام، لا يمكنه إعطاء عظات بالفساد والإصلاح». وفي سياق حماية المُحتكرين، قال عقيص إنّ «كلّ ما ضُبط من محروقات وأدوية لا يشكل 1% من الكميات التي دعمت ودفع ثمنها من جيوب الناس بإقرار من المسؤولين، والتي صار معظمها خارج الأراضي اللبنانية. حوالى 15 مليون ليتر من المحروقات ضُبطت، هل عرف أحد من هم هؤلاء المحتكرون إلا إبراهيم الصقر ومارون الصقر؟».

القوات مستمرّة بالدفاع عن الصقر: وجود فرع المعلومات قرب منزله رسالة لنا

(الأخبار)

قضية اليوم

دراسة الأمم المتحدة عن «الواقع الأليم»:

74% من سكان لبنان يُعانون من الفقر!

الحرمان من الرعاية الصحية، الحرمان من الحصول على الأدوية، الحرمان من التعليم، الحرمان من السكن، الحرمان من الكهرباء، الحرمان من الوصول إلى المدّخرات والودائع، الحرمان من العمل... كلها من ضمن العوامل التي أدّت إلى «تضاعف نسبة الفقر المتعدّد الأبعاد في لبنان من 42% في عام 2019 إلى 82% من مجموع السكّان في عام 2021. وبلغ عدد السكّان الذين يُعانون من الفقر المتعدّد الأبعاد 4 ملايين نسمة تقريباً، يُمثّلون نحو مليون أسرة، بينها 77% من الأسر اللبنانية، أي ما يوازي 745 ألف أسرة لبنانية». الأرقام المأسوية وردت في دراسة أعدّتها «لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا ـ إسكوا» تحت عنوان «الفقر المتعدد الأبعاد في لبنان، واقع أليم وآفاق مُبهمة». وذكرت أنّ 74% من السكان يُعانون من الفقر، «كانت النسبة 55% في العام السابق، و28% سنة 2019».

> توصي الـ«إسكوا» باقتطاع 2% سنوياً من أموال أصحاب الثروات الذين لا تتجاوز نسبتهم 10% من السكان

مفهوم «الفقر المُتعدّد الأبعاد» لا يقتصر فقط على الفقر المادي، أو مستوى الدخل للفرد، بل يشمل جوانب معيشية أخرى تُعدّ أساسية لقياس مدى انتشار حالة الفقر: التعليم، الصحة، الخدمات العامة، الأصول والممتلكات، العمل والدخل.... «حتى إن لم تكن فقيرة مادياً، فالأسرة المحرومة من التيار الكهربائي، على سبيل المثال، يُمكن أن تُصنّف فقيرة حسب مفهوم الفقر المتعدّد الأبعاد (...) وارتفعت نسبة الأسر المحرومة من الكهرباء إلى 54%)»، تشرح «إسكوا».

الخطير في الموضوع أنّ نسبة الأسر الفقيرة المحرومة من الرعاية الصحية ارتفعت من 9% سنة 2019 إلى 33% في العام الحالي، «ويُخشى أن يزداد الوضع سوءاً إذا رُفع الدعم، ولا سيما أنّ 55% من السكّان ليسوا مشمولين بأي شكل من أشكال التأمين الصحّي». بالإضافة إلى ذلك، 52% من الأسر «غير قادرة على الحصول على الدواء». في قطاع التعليم، يبلغ معدّل الفقر المتعدّد الأبعاد 63% في التعليم الجامعي و87% «بين الطلّاب ذوي أدنى مستويات التحصيل العلمي». وارتفعت نسبة كبار السن الذين يُعانون من الفقر المتعدد الأبعاد من 44% سنة 2019 إلى 78% سنة 2021.

تضاعفت نسبة الفقر المتعدّد الأبعاد في لبنان، لتتضاعف معها نسبة الفقر المدقع المُتعدد الأبعاد إلى 34% من مجموع السكان، «أي مليون و650 ألف نسمة، ما يوازي 400 ألف أسرة». لا يبقى سوى 210 آلاف أسرة فقط تعيش في لبنان غير فقيرة... «يُمكن لذوي الثروات في لبنان ونسبتهم لا تتجاوز 10% من مجموع السكان تسديد كلفة القضاء على الفقر من خلال تقديم مساهمات سنوية لا تتعدّى 2% من ثرواتهم».

انطلاقاً من هنا، توصي «إسكوا» في دراستها بـ: إنشاء صندوق وطني للتضامن المجتمعي، وضع خطط فعّالة للحماية الاجتماعية، تعزيز نظم الحماية الاجتماعية وتوسيع نطاقها لتشمل العاطلين عن العمل، دعم الأدوية المحلية الصنع، وضع خطة لزيادة إنتاج الكهرباء، دعم الطاقة المتجددة ووضع خطة إنقاذ وطنية للنهوض بالقطاع الخاص.

استقالة الدولة من ممارسة دورها، وإسقاط السلطة السياسية أيّ محاولة لوضع حدّ للانهيار، ورفض تحميل الكلفة لمن تسبّب بها، أنتجت هذه الأرقام. هي إبادة غير عسكرية تُمارَس بحقّ السكان في لبنان، وتحديداً الفقراء ومن كان ينتمي منهم إلى الطبقة المتوسطة. كلّ ذلك في سبيل إنقاذ مصرف لبنان وأصحاب المصارف والعائلات الاحتكارية وكبار المودعين وكلّ من استفاد من المنظومة.

(الأخبار)

سلامة يُجفّف الليرة من السوق: المزيد من إفقار السكان

ترمي المصارف مسؤولية الشحّ في الليرة اللبنانية على مصرف لبنان، باعتبار أنه لا يُزوّدها بالكميات اللازمة. مصرف لبنان يتّهم المصارف بـ«ضبّ» الليرات النقدية (التي أعطاها إياها) لشراء الدولارات، عوض تسليمها للمودعين. ومابين الاثنين، يدفع المجتمع مرّة جديدة ضريبة عدم الاعتراف بانهيار القطاع المصرفي وإعادة هيكلته. ويستمر رياض سلامة في سياسة تجفيف النقد بالليرة من التداول بطريقة مشوائية

سلامة هو من زاد من حجم الكتلة النقدية للتخلّص من خسائر المصارف (هيثم الموسوي)

ليا القزي

خلال الأسابيع الماضية، ناقش حاكم مصرف لبنان، رياض سلامة مع وزير المالية ومرجعيات سياسية أخرى فرص تعرفة جديدة لجباية فواتير الكهرباء والمياه والهاتف والضرائب... بأن تُحتسب وفق سعر صرف 3900 ليرة لكلّ دولار. بالتزامن، تحدّث مع رئيس جمعية المصارف، سليم صفير عن نيّته تحويل ثلث الودائع بالدولار الأميركي إلى الليرة اللبنانية، عبر تشجيع المودعين لسحب ودائعهم والبحث عن سعر جديد للمنصة التي أُنشئت بموجب التعميم 151 غير سعر 3900 ليرة/دولار («الأخبار» عدد 30 حزيران 2021، https://al-akhbar.com/Politics/310030)، مع ما يتسبّب به ذلك من زيادة النقد بالليرة في التداول... الذي يُريد سلامة في الوقت نفسه محاربته وتقليصه.

يُدرك سلامة أنّ زيادة أسعار الخدمات (وقد سبقها ارتفاع كلفة الدواء والمحروقات) من دون أن يُرافقها تصحيح للأجور، يعني تقليص القدرات الاستهلاكية والمعيشية للسكّان إلى الحدّ الأقصى، ليُصبح مدخولهم ومُدخراتهم بالليرة بالكاد تكفي لتغطية المصاريف الأساسية، مستفيداً من تضييق المصارف على السحوبات بالليرة، فارضةً سقوفاً شهرية، حتى على حسابات الرواتب. أي أنّها تمنع الموظفين، ومنهم كُثر لا يملكون سوى راتبهم الشهري، من الحصول على أموالهم. ولكنّ سلامة لم يهتم سوى بأمر واحد: المزيد من إفقار المجتمع. اعتبر حاكم المصرف المركزي أنّ اقتراحه يُضيّق الخناق على الناس عبر رفع قيمة الخدمات التي يدفعونها، حتى لا يتبقّى معهم ليرات لبنانية «زائدة» يستبدلونها في السوق بالدولار الأميركي. حاول التسويق لوجود «كميات كبيرة من الليرات في المنازل»، مُشدّداً على أنّ الكتلة النقدية بالليرة (بلغت وفق آخر إحصاءات 45 ألف مليار) باتت ضخمة، ويريد إعادة سحبها من السوق.

> يعتبر سلامة أنّ لا نقد من السوق يلجم انهيار سعر الصرف

بالمناسبة، كمية النقد في التداول لم ترتفع من تلقاء نفسها، بل كان سلامة الراعي الرسمي لها. هي سياسة مُمنهجة اعتمدها منذ بداية الأزمة لتحقيق هدفين: حماية المصارف من الإفلاس وحتى لا يتحمّل المساهمون فيها مسؤوليتهم من الخسارة عبر الضخّ من أموالهم الخاصة، والهدف الثاني هو سدّ جزء من الفجوة في حسابات مصرف لبنان والإيحاء بأنّه لا خسائر في ميزانيته. نُقلت إذاً الكلفة من القطاع المصرفي والمالي، المسؤول الأول عن الأزمة، ليتحمّلها كلّ المجتمع اللبناني. وحالياً، ينوي سلامة التشدّد أكثر في تجفيف النقد بالليرة من السوق، لأنّها وفق قاموسه الطريقة الوحيدة لضبط سعر الصرف وإجراءً استباقياً يسبق تعديل سعر صرف الدولار المصرفي ليُصبح 8000 ليرة عوض الـ3900 (كما يُحكى بين الأوساط المصرفية).

إجراء سلامة أدّى إلى اتّقاد النار مُجدّداً بينه وبين المصارف. فقد أعلنت جمعية المصارف في بيان أنّ «سقف السحوبات النقدية التي طبّقتها المصارف مُجبرةً هي نتيجة من خفض مصرف لبنان لسقوف الأموال النقدية التي يُمكن للمصارف سحبها من المركزي بحسب كوتا تمّ تحديدها لكل مصرف. لذلك لا يُمكن للمصارف إعطاء أوراق نقدية بالليرة تفوق ما يؤمّنه مصرف لبنان، خصوصاً أنّ الزبائن يُبادرون بالسحب من دون أي إبداعات تُعوّض الطلب المستمرّ على النقد. انطلاقاً من هذا الواقع، طلبت المصارف من المؤسسات الراغبة تخطي السقوف المعمول بها في إطار دفع رواتب موظفيها أن تُبادر إلى المساهمة بتوفير النقد، خصوصاً إذا كانت تتقاضاه عن خدماتها».

تؤكّد مصادر متابعة «وجود شحّ بالليرة في القطاع المصرفي»، وتُقدّم مثالاً أحد المصارف من الفئة الأولى «يشتري شهرياً بموجب شيكات، ما بين 120 و150 مليار ليرة نقدية، يدفع عليها عمولة تتراوح ما بين 12 في المئة و15 في المئة». فمصرف لبنان خفّض «الكوتا» المسموح بها لكلّ مصرف، «ومعظم المؤسسات التي تُحصّل أموالاً بالليرة لم تعد تودعها في القطاع المصرفي، إما تشتري بها دولارات من السوق أو تستعملها لدفع الرواتب والمصاريف التشغيلية». ولكن يُنقل عن رياض سلامة أنّ المصارف «ضبّت» في الأشهر الماضية «كميات كبيرة من الليرة، لم تُعطها للمودعين، بل اشترت بها دولارات من السوق».

بعيداً من شدّ الحبال المستمر بين البنك المركزي من جهة، والمصارف من جهة أخرى، سحب الليرة من السوق بشكل اعتباطي ومن دون أن يكون ذلك جزءاً من رؤية متكاملة، يؤدّي إلى المزيد من خنق المجتمع. مستوردو المحروقات والأدوية والقمح بحاجة إلى الـ«كاش» لفتح اعتمادات. التجّار بحاجة إلى الكاش لشراء الدولارات لاستيراد السلع. السكان بحاجة إلى الكاش لتعبئة البنزين والذهاب إلى السوبرماركت والدفع للمستشفى ولصاحب المولّد والفواتير الرسمية... كلّ الاقتصاد يتّكل على النقد لإتمام عملياته. لم يحصل ذلك إلا بعد انهيار القطاع المصرفي وتوقّفه عن تأمين خدمات الزبائن. بوجود حاكم للبنك المركزي يتّخذ كلّ الإجراءات التي تمنع تحقيق الاستقرار النقدي والاقتصادي.

عدم المسّ بسعر الصرف... حمايةً للمصارف

في إطار البحث في تغيير سعر الصرف الرسمي، وتعديل سعر صرف الدولار المصرفي، وزيادة الدولار الجمركي، عقد وزير المالية في حكومة تصريف الأعمال غازي وزني اجتماعات «غير رسمية» مع اقتصاديين يُمثلون مختلف الأحزاب السياسية، وبينهم اقتصاديون من أحزاب وحركات معارضة للنظام. الاجتماعات التي عُقدت قبل نحو أسبوع، بحثت في مسألة سعر الصرف، بين ما إذا كان يجب تحريره ضمن هوامش، بحيث يتم التخلّي نهائياً عن سعر الصرف 1507,5 للدولار أو لا. النقطة الثانية التي ناقشها المجتمعون هي تعديل سعر الدولار المستخدم في تسديد التعرفة الجمركية، المعروف باسم «الدولار الجمركي» ليكون ما بين 3900 ليرة لكلّ دولار و8000 ليرة (السعر المطروح ليتم دفع الودائع بالدولار في المصارف على أساسه). اعتُبر أنّ هذا الخيار قد يُشكّل خياراً بديلاً من تحرير سعر الصرف في الوقت الحالي، ويُستخدم لزيادة إيرادات الخزينة العامة، بالتزامن مع زيادة الرسوم على بعض السلع المُصنّفة كماليات. لم يُتّخذ القرار النهائي بعد، «بانتظار دراسة التبعات على الاقتصاد والناس، وكم سيؤمّن مردوداً للخزينة العامة»، بحسب أحد المشاركين في اللقاء.

أما بالنسبة إلى تحرير سعر الصرف، فكان وزني قد سمع من بعض النواب رفضهم لتغيير سعر الصرف، بحجّة وجود قروض سكنية واستثمارية يستفيد أصحابها من تسديدها على السعر الرسمي، بينما أيّ تعديل سيرفع من نسبة القروض المتعثّرة. عملياً، يُعبّر هذا الكلام عن مصالح كبار المقترضين وأصحاب المصارف الذين يُناسبهم عدم تحرير سعر الصرف ليتمكّنوا من تنظيف ميزانياتهم والتخلّص من خسائرهم، عبر تحميلها لأصحاب الحسابات الصغيرة والمتوسطة وعامة السكّان. كما أنّ أي تغيير في سعر الصرف يعني الإعلان الرسمي عن انهيار المصارف بسبب خسارتها لرساميلها.

(الأخبار)

(هيثم الموسوي)

وثيقة

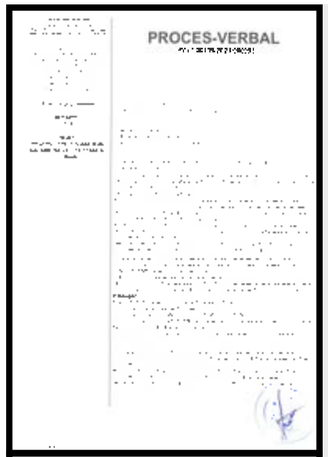
PROCES-VERBAL

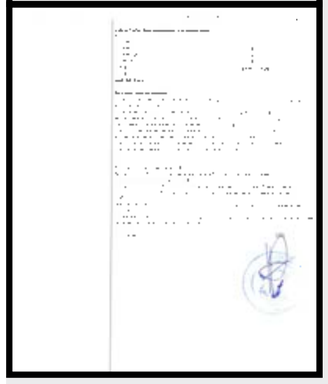

الصفحتان الأولى والثانية من الوثيقة الفرنسية (الوثيقة كاملة على موقعنا الإلكتروني)

محضر ضبط فرنسي لسلامة: نسيتُ أنّ في حقيبتي مالاً!

علمت «الأخبار» أن المديرية العامة للجمارك تلقّت كتاباً من النيابة العامة التمييزية، تطلب فيه اتخاذ الإجراءات القانونية بحقّ حاكم مصرف لبنان رياض سلامة، لجهة إخراجه مبلغاً من المال، من لبنان، من دون التصريح عنه، خلافاً للقانون. وقد أرفقت النيابة العامة كتابها بنسخة عن تقرير تلقّته من السلطات الفرنسية، يتضمن محضر إثبات العثور على أموال في حقائب رياض سلامة، أثناء دخوله إلى فرنسا عبر مطار «لو بورجيه» قرب باريس، وهو ما أدى إلى تغريمه هناك بمبلغ قدره 2700 يورو.

فبحسب محضر التحقيق الفرنسي الذي حصلت «الأخبار» على نسخة منه (منشور كاملاً على الموقع الإلكتروني)، تبيّن أن سلامة كان يحمل في حقيبته الشخصية مبلغ 84 ألفاً و430 يورو، و7710 دولارات. وقبل تفتيش حقائبه، سأله المحقق الفرنسي عما إذا كان يحمل مبلغاً من المال نقداً، أجاب بأن في حوزته 15 ألف يورو. وعندما أدخل سلامة إلى غرفة لاستجوابه، قال بأن المبلغ الإضافي موجود دائماً داخل حقيبته، وإنه لم يتحقّق من وجوده، و«كنت قد نسيت أنه موجود في حقيبتي».

ويتضمن المحضر الفرنسي ما جرى مع سلامة في مطار «لو بورجيه»، وتعداداً تفصيلياً للأموال، إضافة إلى استجواب حاكم مصرف لبنان، فضلاً عن نسخة عن جواز سفره اللبناني الدبلوماسي الصادر عام 2020.

وتبين الوثيقة الفرنسية أن محضر ضبط سلامة من قبل الجمارك في «لو بورجيه» أرسلته الشرطة القضائية الفرنسية إلى القاضية أود بوريسي، بناء على طلب الأخيرة التي أرادت الحصول على معلومات عن كل الإجراءات الجمركية المتخذة بحقّ سلامة في فرنسا، بصفته مدعى عليه بجرم تأليف «عصابة أشرار» للقيام بعمليات اختلاس وتبييض أموال. والقاضية بوريسي هي التي تتولى التحقيق في الدعاوى المقامة ضد سلامة في فرنسا. وتعدّ هذه الوثيقة دليلاً على كذب الشائعات التي يبثها مقرّبون من سلامة، والذين يزعمون أنه غير ملاحق في فرنسا.

وكانت «الأخبار» قد نشرت يوم الاثنين الماضي (30 آب 2021) تقريراً عن «ضبط» الجمارك الفرنسية لسلامة، «بالجرم المشهود»، أثناء محاولته إدخال مبلغ من المال نقداً إلى فرنسا، من دون التصريح عنه. وقد امتنع الحاكم عن التعليق على ما نشرته «الأخبار»، وهو ما تجاهلته معظم وسائل الإعلام الدائرة في فلكه.

المديرية العامة للجمارك باتت ملزمة، بناء على إشارة النيابة العامة التمييزية، بإصدار محضر ضبط لسلامة، وتغريمه بسبب عدم تصريحه عن إخراج مبلغ من المال يفوق ما يجوز إخراجه من دون تصريح. ولم يُعرف ما إذا كانت هذه المسألة ستكون حاضرة في جلسة التحقيق التي سيجريها المحامي العام التمييزي بالتكليف، القاضي جان طنوس، يوم 28 أيلول الجاري، مع رياض سلامة المشتبه فيه باختلاس أموال من مصرف لبنان وتبييضها والتزوير واستخدام المزوّر.

قضية

مخاطر فقدان «أدوية الالتهابات» يوازي خطر انقطاع أدوية السرطان

لا يقل خطر فقدان «أدوية الالتهابات» عن مخاطر فقدان أدوية السرطان والأمراض المستعصية. فهذه الأدوية ركيزة أساسية لأي عمل جراحي، وانقطاعها انعكس ارتفاع عدد حالات الدخول إلى المستشفيات

(هيثم الموسوي)

هديل فرفور

عندما طلبت جهات مانحة من الجانب اللبناني لوائح بالأدوية اللازمة لمعالجة حروق مصابي انفجار بلدة التليل الشهر الماضي، تصدّرت أدوية المُضادات الحيوية تلك اللوائح.

هذه الأدوية التي تشكّل «عمود» العمل الطبي لم «تنقطع» من الصيدليات فقط، بل من كثير من المُستشفيات التي يعدّ توافر المُضادات فيها أمراً بديهياً، إذ إن «السيطرة على الأمراض ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتوافر المُضادات الحيوية»، بحسب أطباء الأمراض الجرثومية.

صحيح أن الانقطاع الكلي للمضادات الحيوية لا يزال مُستبعداً حتى الآن، خصوصاً بعد الوعود الأخيرة بحلحلة أزمة الدواء، إلا أن محدودية توافرها تضع المُقيمين في لبنان، سواء كانوا مرضى أو معرّضين للمرض، أمام مخاطر صحية جسيمة.

أول تداعيات انقطاع هذه الأدوية انعكس ارتفاعاً في حالات الدخول إلى المُستشفيات، «فالمريض الذي يحتاج إلى أربعة أيام للتعافي بفعل حبوب المُضادات الحيوية يحتاج حكماً إلى دخول المُستشفى لحقنه بالأدوية البديلة»، بحسب طبيب الأمراض الجرثومية باسم عواضة. ويُضيف: «بعض العلاجات يستلزم وصف أدوية لأنواع محددة من البكتيريا. غياب هذه الأدوية يدفع الطبيب إلى وصف أدوية تغطي أنواعاً كثيرة من البكتيريا، وهو أمر غير محبذ طبياً وله تداعيات خطيرة على بعض المرضى».

أما السيناريو الأسوأ فهو أن الانقطاع الكلي لهذه الأدوية يؤدي إلى «شلل» العمل الجراحي بمختلف أنواعه، «من الأشخاص الذين يخضعون لعمليات زرع أعضاء وصولاً إلى النساء اللواتي يخضعن لعمليات ولادة قيصرية»، على ما يقول البروفيسور في العلوم الجرثومية والغذائية في كلية الأغذية والعلوم الزراعية في الجامعة الأميركية في بيروت قاسم تاصيلي، جازماً بأن مخاطر انقطاع المضادات الحيوية في لبنان «تضاهي مخاطر انقطاع أدوية السرطان والأمراض المستعصية».

انقطاع «أدوية الالتهابات» أمر خطير في أي مكان، لكنه في حالة لبنان يكتسب أبعاداً أخطر نتيجة عوامل عدة أبرزها اثنان: الأول توافر بيئة ملوثة تجعل مخاطر التسمم الغذائي والالتهابات الجرثومية عالية جداً، والثاني يتمثل بانتشار «ظاهرة» مقاومة المُضادات الحيوية.

في ما يتعلق بالعامل الأول، فقد وثّقت دراسات سابقة حجم «استفحال» البكتيريا البرازية في مختلف الأطعمة. وقبل نحو عام، خلصت مؤسسة MDPI إلى أن 98 في المئة من لحم البقر الذي يُستهلك في لبنان غير مطابق للمواصفات الجرثومية وفق المقاييس اللبنانية والعالمية. وبيّنت دراستان أخريان في العام نفسه أجرتهما مجموعة من طلاب كلية الصحة في الجامعة اللبنانية - الفرع الأول، أن 100 في المئة من عيّنات «الفريسكو» غير مطابقة للمواصفات، و40 في المئة من العصائر

> **أول تداعيات انقطاع المضادات الحيوية انعكس ارتفاعاً في حالات الدخول إلى المُستشفيات**

لا تصلح للشرب. وأخيراً، مع اشتداد أزمة الكهرباء، أظهرت دراسة أعدّها فريق بحثي من مختبر ميكروبيولوجيا الغذاء في الجامعة الأميركية في بيروت، تجاوز المحتوى الجرثومي في عيّنات من الجبنة جمعت في منطقة بيروت ثمانين ضعف المعدلات المسموح بها كحد أقصى.

ويشدّد قاسم على أن تسجيل أعداد متزايدة من حالات التسمم الغذائي يزيد من احتمالات تسجيل أمراض جرثومية تتطلب توافر المضادات الحيوية بشكل ملح.

أما في ما يتعلّق بظاهرة مقاومة المُضادات الحيوية والتي تجعل أمراضاً كثيرة عصية على العلاج، «فإن غياب المُضادات الحيوية يفاقم الوضع المأزوم أصلاً». ويوضّح قاسم أن «مقاومة المضادات الحيوية تستوجب اللجوء إلى أدوية أكثر فعالية كالكوليستين والميروبينيم والايميبينيم. هذه الأدوية سيزداد الطلب عليها رغم شحها مما سيؤدي الى رفع سعرها بشكل كبير وزيادة احتكاره (...) نحن أساساً نعاني من مشكلات تتعلق بعدم تجاوب البكتيريا مع بعض المضادات الحيوية، فكيف سيكون الوضع إذا اختفت تلك المُضادات؟».

وكانت «الأخبار» قد نشرت في شباط الماضي نتائج دراسة خلصت إلى أن 18 في المئة من الأطفال المقيمين في لبنان يحملون بكتيريا مقاومة للمضادات الحيوية، وهي ثاني أعلى نسبة في العالم. وأشارت تقديرات المختصين إلى أن نسبة تفشي هذه البكتيريا قد تلامس الـ30 في المئة، وهو ما عدّ نتاجاً طبيعياً لاكتساب الجراثيم في البحر اللبناني مناعة ضد أدوية الالتهابات، ومن ضمنها «الكوليستين» الذي يُستخدم بعد فشل معظم المضادات الحيوية الأخرى.

أضف إلى ذلك، تأثير انقطاع المُضادات الحيوية على الفحوصات المخبرية، إذ «إنه يحول دون القدرة على إجراء كثير من الفحوصات اللازمة لفحص البكتيريا وتشخيص العلاج المطلوب».

مرضى زرع الأعضاء الأكثر تضرراً

فقدان الأدوية المضادّة للالتهابات يعرّض كل المرضى للخطر بنسب متفاوتة، «لكن هذه النسبة حكماً أعلى ومضاعفة لدى مرضى زرع الأعضاء» بحسب نائب رئيس اللجنة الوطنية لوهب الأعضاء الدكتور أنطوان اسطفان. وأوضح لـ«الأخبار» أن الأدوية المضادة للالتهابات نوعان: bacteriocidal التي تبيد الجراثيم وتمنع تكاثرها، وacteriostatic التي تمنع نموّ البكتيريا. لافتاً الى أن «المريض الذي يخضع لجراحة نعطيه bacteriostatic ونعتمد على مناعته الذاتية للتغلب على الالتهاب، أما بالنسبة الى مرضى زرع الأعضاء، فالوضع مختلف لأننا نخفف مناعتهم لنحمي العضو المزروع، ما يجعل نسبة خطورة تعرّضهم للالتهابات عالية جداً. ولأننا لا نستطيع هنا الاعتماد على مناعة المريض الذاتية، يجب استعمال الـ bacteriocidal لمنع حصول الالتهابات التي تعرّض المريض للخطر أو لخسارة العضو المزروع».

قضية

حرارة الأرض
قاتل صامت يفتك بالبشرية

كُتب الكثير عن علاقة زيادة الانبعاثات بتغير المناخ والظواهر المناخية المتطرفة (ارتفاع الحرارة وزيادة الجفاف والحرائق والفيضانات وتحمّض المحيطات وذوبان المتجمد منها)، وأثر ذلك على الأنظمة البيئية والغذائية... إلا ان تأثير هذه العلاقة على الحياة والصحة العامة بقي غامضاً. التقارير حول اعداد الوفيات السنوية في العالم جرّاء زيادة الحرارة تحيط بها الشكوك، بسبب عدم الاتفاق بعد على توصيف هذه المشكلة وتصنيفها. إلّا ان المؤكّد ان عدد ضحايا ارتفاع الحرارة يتزايد عاماً بعد آخر، وهو اكبر من عدد من تقتلهم الاعاصير والفيضانات. فهل يمكن التكيّف مع زيادة الحرارة والتخفيف من الوفيات؟

حبيب معلوف

أكّد التقرير الأخير للهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ (تابعة للأمم المتحدة) ان زيادة حرارة الأرض أصبحت أمراً واقعاً، وانه حتى لو توقّفت انبعاثات الأرض تماماً (وهذا مستحيل طبعاً)، فإنّ تأثيرات ظاهرة تغير المناخ ستستمر طويلاً، بسبب تراكم هذه الانبعاثات في الغلاف الجوي منذ الثورة الصناعية.

ووفقاً لمنظمة الصحة العالمية، فإن عدد الوفيات الناجمة عن موجات الحر بين عامي 1998 و2017 تجاوز 166 ألف شخص. وتوقّعت دراسة للأمم المتحدة عام 2018 أن يتضاعف هذا العدد أربع مرات بحلول عام 2030، وهو تضاعف بهذه النسبة فعلاً هذا العام ولم ينتظر عشر سنوات؛ وهذا ما يجعل الحر من بين أكثر كوارث الطقس فتكاً. علماً أن تقارير أخرى تقدّر أن الأرقام أكبر مما هو معلن، إذ أن الوفيات بسبب موجات الحر لا تسجّل كلّها تحت هذا العنوان في شهادات الوفاة. فإذا كان المتوفى قد قضى، بحسب الشهادة، بسبب إصابة بقصور في القلب، مثلاً، لا يُدرج ذلك في خانة الوفيات بسبب ارتفاع الحرارة، علماً أن زيادة الحرارة قد تقضي على من يعانون من مشاكل معينة في القلب. وذهبت دراسات أخرى إلى التأكيد أن من تزيد أعمارهم على 65 عاماً، معرّضون أكثر من غيرهم للوفاة الناجمة عن ارتفاع درجات حرارة الطقس والإصابة بـ«ضربة شمس» أو «إجهاد مميت»؛ وهذان يحدثان عندما يتعذّر على جسم الإنسان تبريد نفسه بدرجة كافية. ويمكن للإجهاد الناجم عن الحر أيضاً أن يؤدّي إلى الوفاة من خلال مفاقمة حالات مرضية كامنة، كامراض القلب والأوعية الدموية والأمراض التنفسية.

والفئات الأكثر عرضة لمخاطر موجات الحر هي الأطفال وكبار السن وأصحاب الأمراض المزمنة ومن يعملون في أماكن مكشوفة تحت أشعة الشمس الحارة من دون حماية. كما لاحظت الدراسات أن الوفيات تكثر عندما لا تنخفض درجات الحرارة بمعدلات كبيرة أثناء الليل وتستمر على حالها كما خلال النهار.

ومع توقع ارتفاع درجات الحرارة أكثر من درجة ونصف درجة، بعد فشل دول العالم في الوفاء بالتزاماتها باتفاقية باريس التي نصّت على أن لا ترتفع أكثر من هذا المعدل، أين سيقع الضرر الأكبر وكيف؟

يجزم التقرير السادس للهيئة (الأسبوع الماضي) والتقارير الخمسة التي سبقته (تصدر كل خمس سنوات تقريباً منذ عام 1990) أن سكان المدن هم الأكثر عرضة لمخاطر زيادة حرارة الأرض. فالأماكن التي يكثر فيها الإسفلت والاسمنت وغيرهما من الأسطح التي تمتص الحرارة ثم تعيد بثها، تجعل من البيئات الحضرية أكثر سخونة من الضواحي أو المناطق الريفية. وخلال النهار، تكون المناطق الحضرية، في المتوسط مثلاً، أكثر سخونة بعدة درجات مئوية من المناطق الريفية المحيطة بها. وفي كثير من مدن العالم، يموت العديد من العمال المشتغلين بأعمال الإنشاءات الخارجية، نتيجة لقصور القلب والأوعية الدموية الناجم عن ضربات الشمس.

ومعلوم أن ارتفاع الحرارة، خصوصاً في المدن، يتطلّب زيادة استهلاك الطاقة للتبريد، ما يعني مزيداً من الانبعاثات لأن أكثر من 70% من مصادر الطاقة تعتمد على الوقود الأحفوري.

لا يعني هذا، بالطبع، أن سكان الأرياف سيكونون في مأمن. فارتفاع الحرارة وزيادة الجفاف يزيدان من نسبة الحرائق في الأماكن الخضراء والحرجية ما يؤدّي بدوره إلى ارتفاع سخونة المناخ؛ ولكن سيكون لدى سكان الأرياف، ومن يعيشون قرب المساحات الخضراء، فرصة أكبر للتكيف مع درجات الحرارة القياسية والحارقة إذا حافظوا على هذه المساحات. الأثر الأكبر لارتفاع الحرارة على المدن لناحية زيادة الوفيات أمر مسلّم به عملياً وعلمياً. لا بل تعكف الأوساط العلمية على تحديد الأحياء الأكثر عرضة لهذه المخاطر، لتأمين الرعاية الصحية المبكرة والوقائية، كما يذهب بعض الدراسات إلى إيلاء الاهتمام لأصحاب البشرة الداكنة باعتبارهم أكثر عرضة من أصحاب البشرة البيضاء لحالات الوفاة والإصابة بالأمراض المرتبطة بالحر.

انطلاقاً من ذلك، أطلقت مدن عدة حول العالم مبادرات لزراعة مزيد من الأشجار، ودعوة السكان إلى طلاء الأسطح باللون الأبيض العاكس للحرارة، واعتمدت أساليب إلكترونية للتوعية والتنبيه من موجات الحر الشديد، كإرسال الرسائل المسبقة، أو عرض قراءات درجات الحرارة على لوحات إلكترونية.

وإذ يراهن كثير من دول العالم على التبريد الكهربائي المنزلي، إلّا أن هذا لا ينطبق على سكان المدن في البلدان النامية التي تفتقر للمكيفات أو حتى للكهرباء. ويُعتبر لبنان نموذجاً لأزمة متوقّعة وقاتلة في هذا المجال.

ويلجأ المسؤولون عن تخطيط المدن في العالم إلى أساليب عديدة في محاولة للتغلّب على الحر، كإبقاء الأماكن العامة، مثل الحدائق والمراكز المجتمعية المكيفة، مفتوحة لساعات طويلة أثناء موجات الحر، وهو ما يوفر متنفّساً لمن يعانون من شدّة الحر في منازلهم. كما لا تزال زراعة الأشجار في المدن للتخفيف من الحر وحماية الموجود منها في الأرياف فكرة مركزية. ويدرس هؤلاء أنواع الأشجار سريعة النمو والمرطبة للهواء والمظلّلة بشكل كبير، وإعادة النظر في تخطيط المدن للسماح بتسرب الهواء عبر الشوارع... كل ذلك من أجل التكيف مع مستقبل حارق، بات واقعاً ملموساً، ولم يعد بالإمكان تجنّبه. وهذا، بالطبع، ما لم ولا تفكّر به السلطات (مركزية أو لامركزية) في بلد كلبنان، لإنقاذ الأرواح بعد أن اتبعت هي نفسها سياسات في الطاقة والنقل والبيئة... أدت إلى خنق الناس.

(الأرشيف ـ مروان طحطح)

> **حتى لو توقفت انبعاثات الأرض تماماً فإن تأثيرات ظاهرة تغيّر المناخ ستستمر طويلاً**

الحر يفتك بمدن في «البلدان المعتدلة»

تاريخياً، حدث بعض موجات الحر الأكثر فتكاً في مدن ذات طقس معتدل شهدت فجأة موجات حر شديد. فعلى سبيل المثال، مات نحو 14 ألف شخص في موجة الحر التي اجتاحت فرنسا عام 2003، وتُوفي أكثر من 700 شخص في مدينة شيكاغو الأميركية عام 1995. ولم يتّضح بعد العدد النهائي لمئات من ضحايا موجة الحر التي حطمت الأرقام القياسية في شمال غرب الولايات المتحدة وجنوب غرب كندا في الشهر الماضي.

البحر المتوسط الأكثر تعرّضاً

ورد في التقرير التقييمي السادس للمناخ الذي أعدّته الهيئة الحكومية الدولية المعنيّة بتغيُّر المناخ، والذي صدر الأسبوع الماضي قبل أقل من ثلاثة أشهر من انعقاد القمة الدولية المُقبلة للمناخ في غلاسكو الاسكتلندية، أن درجة حرارة سطح الأرض ارتفعت 1,1 درجة مئوية بين عامي 1850 و1900، وهو معدل لم تشهده الأرض منذ 125 ألف عام، أي منذ ما قبل العصر الجليدي الحديث. وتوقع التقرير زيادة الاحترار بين 2,5 و4 درجات مئوية، بعدما كان التقرير الخامس (عام 2013) قد توقع زيادة تراوح بين 1,5 و4,5 درجات. وهو معدل أعلى كثيراً من 1,5 ودرجتين الذي وضعته الدول الموقّعة على اتفاقية باريس للمناخ عام 2015 هدفاً لها.

كما أشار التقرير إلى أن المناطق الأكثر تأثراً بالارتفاع الحاد لدرجات الحرارة، وبالأمطار والجفاف، هي بلدان البحر المتوسط وجنوب غرب أفريقيا.

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ الصدر المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ للفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل ـ 15 ـ 01/666314 ـ 03/828381
■ الموقع اللكتروني: www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل: /AlakhbarNews @AlakhbarNews /alakhbarnews-paper

أين يقف حزب الله من الانهيار

أسعد أبو خليك *

قبل أن تُخضع حزب الله لتحليل سياسي حول مواقفه من الأزمة اللبنانيّة عند اندلاع الانتفاضة (التي لم تلبث أن خَبت) من دون تصنيف عقيدة وسياسات الحزب بمعيار الإيديولوجيا السياسيّة، هل نصنّف الحزب في خانة اليسار أم في خانة اليمين؟ من الصعوبة بمكان إجراء هذا التصنيف في بلد مثل لبنان حيث تعاني ثقافته السياسيّة منذ أن خرّبها رفيق الحريري (بالمال، لا بأي شيء آخر). هناك جيل بات مقتنعاً أن لا يسار ولا يمين وأننا دخلنا في حقبة زالت فيها الفوارق بين السياسات (وحتى بين الطبقات: جريدة محمد بن سلمان، «الشرق الأوسط»، أجرت تحقيقاً قبل أسبوع عن معاناة الشعب في لبنان وخلصت إلى أن الفقير والغني يعانيان في لبنان. أي أن معاناة رياض سلامة وصحبه هي مثل معاناة فقراء عكار، مثلاً). تعريف اليسار في بلادنا، باختصار شديد، يعتمد على الربط بين موقف في السياسة الخارجيّة وبين موقف في السياسة الداخليّة.

يمكن القول بأن لا يسار في العالم العربي من دون المزاوجة بين موقف صارم ومحدّد إلى جانب العدل الاجتماعي ومحاربة الرأسمالية (والعمل على استبدالها) وبين مناهضة التحالف الإقليمي-العالمي إلى جانب مصالح الشركات الكبرى والاستعمار الغربي و«إسرائيل». يمكن مثلاً ملاحظة أن الحزب الشيوعي العراقي فشل في المعارضة؛ هو كان جزءاً مكوّناً من قوى الاحتلال الأميركي كما أنه كان ممثلاً في مجلس بريمر الذي اتخذ مواقف متطرّفة في الخصخصة وفي جشع الرأسمالية وفي مناهضة حقوق الفقراء. إن تقييم حزب الله يجب أن يأخذ في الحسبان التحوّلات الهائلة التي طرأت عليه عبر السنوات. كان الحزب في سنوات صبحي الطفيلي مجاهراً بالعداء ضد المسيحيّين واليهود، كيهود. أعداء حزب الله يمتهنون جلب مقاطع قديمة لقادة الحزب من أجل تحريض الجمهور عليه. لكنّ اللعبة هذه (والتي يجيدها إعلام مخابرات آل سعود والغرب و14 آذار التابع لهما، والتي لا يجيدها الحزب وحلفاؤه) يمكن أن ترتدّ: ماذا لو استعدنا خطب وتصاريح كل قادة 14 آذار في مديح النظام السوري والمقاومة وإيران؟ تغيّر الحزب في عهد حسن نصرالله كان موقف الحزب من الموضوع الاقتصادي تغيّر قليلاً جداً.

من حقّ الحزب أن يكون مهووساً بالأخطار الأمنيّة التي تتهدّده. لم يسبق أن تعرّض حزب لبناني في تاريخ لبنان إلى مثل الحرب الضروس المعلنة ضد الحزب من قبل تحالف عالمي يضمّ أنظمة عربيّة ودول الغرب و«إسرائيل». لا سابق لذلك أبداً. طبعاً، السبب أن الحزب يشكّل أكبر تهديد لمصالح الصهيونيّة في المشرق منذ تاسيس الدولة في عام 1948. هل يتذكّر أحد مثلاً أن قادة العدوّ وأميركا شنّوا حرباً وفرضوا عقوبات على جنبلاط أو توفيق سلطان أو قادة الحركة الوطنيّة في عزّها؟ حتماً لا. إن التقليل من خطر حزب الله على «إسرائيل» هو من بنات دعاية جهاز الإعلام السعودي والإماراتي لأن العدوّ في كل تقاريره وفي مؤتمرات مراكز أبحاثه يعترف أن الحزب يشكّل أكبر خطر عليه. هل حدث أن حزباً لبنانيّاً أو منظمة فلسطينيّة راكمت من القوة القتاليّة (وليس فقط التسليحيّة) إلى درجة أنها ردعت العدوّ؟ لا، حتى الجيوش العربية لم تصل إلى مرحلة ردع «إسرائيل» منذ عام 1948 إلى الآن. لكلّ هذه الأسباب، ولأن «إسرائيل» تخطى اليوم ـ كما حظيت منذ 1948 ـ بفريق لبناني عريض يتحالف معها ويناصر مواقفها ويشنّ الحملات ضدّ أعدائها، فإن الحزب يولي الهم الأمني العسكري على كل ما عداه.

الحزب لم يبدأ حزباً يساريّاً ولم يصبح حزباً يساريّاً. بدأ الحزب حزباً يمينيّاً حتى في السياسة الخارجيّة، إذ أنه لم يكن يومها يعتنق فكر التحالف العالمي ضد الإمبريالية، وهو الفكر الذي دخل رسميّاً في الوثيقة السياسيّة للحزب في عام 2009. الحزب في بداياته تحدّث عن المستضعفين لكن هويّته كانت لصيقة بالعقيدة الإسلاميّة المترَمّتة التي وسمت بداياته. في الوثيقة المذكورة من عام 2009، أعلن الحزب انضواءه في التحالف العالمي ضد الإمبرياليّة والصهيونيّة، كما أنه نبذ ـ في سابقة لحزب إسلامي عربي أو غير عربي ـ معاداة اليهوديّة وميّز بين العداء لليهود وبين العداء للصهيونيّة. في السياسة الخارجيّة، يُصنّف الحزب بأنه متحالف مع جبهة عالميّة تضمّ يساريّين وشيوعيّين في فنزويلا وكوبا. لكن إلى أي درجة طوّر الحزب هذا التحالف، وهل أرسل وفوداً إلى تلك البلدان التي تقارع الإمبريالية والصهيونيّة في أميركا اللاتينيّة؟ ليست لديّ معلومات عن ذلك.

لكنّ الحزب تأسّس ونما على أساس الفكر الرأسمالي. لا يعارض الحزب الرأسمالية، لا كتابةً ولا في الممارسة من خلال سنوات طويلة في الحكم (في المجلس النيابي وفي مجلس الوزراء). الحزب لا ينتمي إلى الفكر الاشتراكي وتعاطيه في هذه الأزمة يثبت أنه حزب ينتهج الرأسماليّة وإن كانت لديه تمنيات في تحسين شروط الظلم الرأسمالي. الأمين العام للحزب ناشد أصحاب المصارف الرافة بالناس وبمصالحهم. كان الرأسماليّة تتعاطى بالعمل الخيري. وفي خطبة أخيرة، دافع نصرالله عن المصارف وزوّدها بذريعة قائلاً إن أصحاب المصارف أرادوا إرجاع أموالهم من خارج لبنان لكنّ الغرب منعهم. ليس هناك من أي دليل أن الجشعين من أصحاب المصارف كانوا في وارد إرجاع سرقاتهم، أو أن الغرب تدخّل في هذا الشأن. في الموضوع الاقتصادي يرد في الوثيقة السياسيّة لعام 2009 كلام عام جداً عن اقتصاد يعتمد على «قاعدة القطاعات المنتجة... خصوصاً الزراعة والصناعة». لكن هذا الكلام العام هو لازمة في بيانات الحكومات المتعاقبة منذ أن كنتُ صبيّاً. لكن كيف تغيّرُ في الاقتصاد وماذا تنتهجُ من سياسات من أجل أن تنمّي قطاعي الصناعة والزراعة؟ ولقد تولّى الحزب بعض هذه الوزارات الحساسة، ولم نجد أثراً لسياسات تختلف عن سياسات مختلف الوزراء الذين تعاقبوا بعده أو قبله. و«الإنماء المتوازن» هو لازمة لا يختلف حتى رفيق الحريري معها. ولا يتحدث الحزب عن محاربة الفقر أو القضاء عليه كهدف. لا، هو فقط يدعو إلى «معالجة مشكلة الفقر» (لكن لا يقول كيف يتحقّق ذلك). يتحدّث الحزب عن تأمين «الخدمات المناسبة» للمواطنين من «تعليم وطبابة وسكن» و«الحياة الكريمة» لكن هذا أيضاً كلام في العموميات ولا يعكس جديّة لأنه لا يرتبط ببرامج طرحها الحزب وناضل من أجل اعتناقها سياسات للدولة. هذه المقدمة ضروريّة من أجل فهم موقف الحزب من الانهيار الجاري.

لم يبدر عن الحزب منذ بداية الأزمة ما يشير إلى تقدير لفداحة الأزمة الاقتصاديّة. من المرجّح أن الحزب أمل أن تكون الأزمة قصيرة ويرجع لبنان إلى سابق عهده من الحكم الهشّ. لا، على العكس فإن محمد رعد قبل أشهر بشّر بقرب نهاية الأزمة. والحزب كما هو معروف ناصر الحركة الاحتجاجيّة في بداياتها قبل أن يدعو جمهوره للخروج من الساحات. الحزب تخوّف من اختراق الشوارع من قبل أعدائه ومن قبل أنصار «إسرائيل» (الكثر) في لبنان. لكنّ الحزب لم يسهم في الجدال الدائر حول الموضوع الاقتصادي. ما يمكن ذكره من موقف الحزب أنه أعدّ خطة اقتصاديّة لكنه أبقاها طيّ الكتمان (أعلنها أنها سريّة)، وأنه يقبل بدور لصندوق النقد كحل على أن يكون الدور حسناً. إن الحزب الذي لم يرفع الصوت ضد سياسات رفيق الحريري التي أوصلتنا إلى الانهيار انصرف إلى مهمّة التحرير وبناء قوة مقاومة لم يسبق لها مثيل في تاريخ المقاومات والجيوش العربيّة. لكن في التعاطي مع الانهيار لم يتميّز الحزب عن غيره في منظومة الحكم بشيء.

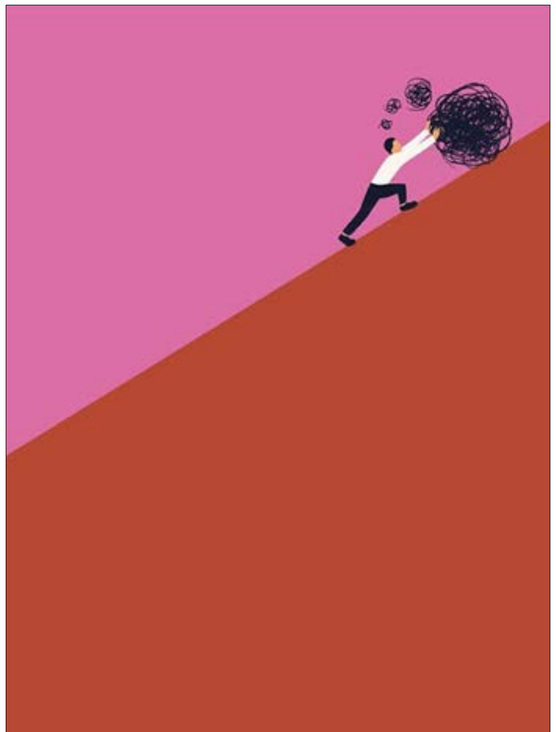
فرانشيسكو تشيكوليلا (النمسا)

إن الحصار الخليجي ـ الإسرائيلي ـ الغربي للبنان هو حقيقة. والسعي إلى تركيع المُتفق عليها بين السعوديّة والإمارات و «إسرائيل» وأميركا منذ حرب 2006 التي أحرجت هذا التحالف. لكنّ الجهة التي كان يمكن أن تقود عمليّة مجابهة الحصار استنكفت لأنها تفضّل لملمة الوضع والعودة بقدر الإمكان إلى تركيبة ما قبل الانتفاضة. لهذا، فإن الحزب لا يقدم على طرح سياسات اقتصاديّة جذريّة بوجه المنظومة. هو يريد تحسين شروط الهيمنة الرأسماليّة لا القضاء عليها. هو يريد تحسين شروط العدل الاجتماعي لكن بصورة عامّة ومن دون طرح برامج مفصّلة. هو يريد محاربة الفساد لكن اسمياً فقط لأن الحزب اكتشف أن العلاقة مع الحليف الشيعي تعلو على أي اعتبار. والأمين العام للحزب أعلن أن الحزب سيقود معركة ضد الفساد لكنّ شيئاً من ذلك لم يحدث. وأصبحت تصاريح حسن فضل الله حول محاربة الفساد مدعاة للسخرية ـ وعن حق. لأنه يتحدّث عن ملفّات تقضي على رؤوس كبيرة لكن لا يصارح الشعب بها. هو يحيل ملفاته إلى القضاء الفاسد والعاجز من دون أن يُطلعنا على مضمون ملفّاته. من حق الشعب اللبناني أن يعرف ما تكوّن لدى الحزب من ملفّات خصوصاً إذا كان فضل الله قد بدّش من تحرّك القضاء. والذي يُعوّل على القضاء اللبناني يتجاهل طبيعة النظام اللبناني. والذي يعوّل على قاضٍ واحد دون غيره يكون يعترف بفساد القضاء.

> امتهن أعداء حزب الله جلب مقاطع قديمة لقادة الحزب من أجل التحريض عليه. لكن ماذا لو استعدنا خطب كل قادة 14 آذار وتصاريحهم، في مديح سوريا والمقاومة وإيران؟

طرح الحزب عناوين عن الخيار الشرقي وطرح عناوين عن الإصلاح، لكن ليست له مبادرة جديّة في أي اتجاه باستثناء تشكيل حكومة تعود إلى توازنات الماضي بكل مويقاته وفساده واختراقه من قبل أنصار «إسرائيل» في داخل الحكم. هل شكّل الحزب وفداً رسمياً وزار الصين أو روسيا وعاد بمبادرة مدروسة لتقديمها للشعب اللبناني كخيار للخروج من الحصار المفروض؟ طبعاً، هناك يمين ووسط وشيوعيّون في لبنان يشكّكون في الحصار نفسه، كأن الرأسمالية المتوحّشة في دول العالم النامي ليست حصاراً. وما بالك في بلد منخرط في رأسمالية الغرب وهو يتناغم دولة الاحتلال التي لا ترى أميركا مشرقنا إلا من خلالها ومن خلال مصالحها الاحتلاليّة والعدوانيّة. الحزب ليس جاداً في خرق الحصار بالرغم من مبادرة السفينة الإيرانيّة (وهي مبادرة محمودة وكيف يمكن معارضتها من قبل تقدميّين معارضين لسياسات الغرب في بلادنا؟).

إن تشكيل الحزب لحركة المقاومة نشأ في ظروف معادية لها بالكامل: كان جيش الاحتلال يسود في لبنان وكان النظام السوري ينظر بعين الريبة في البداية إلى هذه التجربة (وتحوّلت الريبة إلى عداء في ما بعد، قبل أن يعود النظام السوري إلى سياسة دعم المقاومة) كما أن نظام الجميّل طارد ولاحق المقاومين بالنيابة عن العدوّ الذي نصّب أمين الجميّل في الرئاسة. لكنّ حقبة ما بعد الطائف ونجاح المقاومة الإسلامية في تحقيق منجزات عسكريّة غير مسبوقة فرضا إجماعاً (غير صادق وغير عفوي) من الطبقة السياسية لأن الراعي السوري جعل المقاومة ركناً من سياسات النظام القائم، خصوصاً في حقبة أميل لحود. لكنّ الحكم في مرحلة ما بعد الطائف كان دائماً يشهد نزاعات بين محور ضد المقاومة (الحريري ومن لفّ لفّه) ومحور معه (إميل لحّود والجيش عندما كان بإمرته). بعد رحيل الجيش السوري، تكشّفت الثقافة السياسية على حقيقتها: أن جزءاً لا بأس به من السياسيين اللبنانيين متعاطف مع «إسرائيل» أكثر مما هو متعاطف مع مقاومة «إسرائيل». وهكذا كان لبنان منذ التاسيس، والطوائف مرّت بأطوار مختلفة في الموقف من العدوّ.

لقد قرّر الحزب ـ من دون أن يعلن ذلك ـ أن النظام السياسي القائم كما هو، بفساده المستشري، أنفع له ولمقاومته من فوضى التغيير غير المحمودة لأن إمكانيّة الاختراق موجودة. لكنّ الاختراق موجود في جسم النظام، كما هو موجود في المجتمع. والحزب، دفاعاً عن النظام، يحافظ على تحالفاته الطائفيّة مع أعتى الفاسدين (إن في حركة «أمل» أو في «التيّار» أو مع آخرين). وخوف الحزب من التغيير غير المعروف النتائج دفعه لقبول دور الحامي الأوّل للنظام. إن اهتمام الحزب بتلك الجملة الإنشائية (الخالية من أي مدلول أو مفعول قانوني) عن المقاومة في البيانات الوزاريّة ينمّ عن مبالغة في تقدير حاجة حركة مقاومة إلى غطاء حكومي. إن المقاومة انطلقت عندما كان نظام أمين الجميّل ركناً من أركان الاحتلال الإسرائيلي. والجملة في البيان الوزاري، والتي يرتدّ عنها معظم الموافقين عليها، لم تساهم في إسباغ شرعيّة على المقاومة. والمقاومات تنطلق من دون شرعيّات قانونيّة: هكذا انطلقت المقاومات اللبنانيّة بعد 1982 (اليساري منها والإسلامي). إن عمل المقاومة هو الشرعيّة ذاتها، والتي تمنح الشرعيّة الوطنيّة، بصرف النظر عن القانون. لو انتظرنا القانون الدولي، لكانت الأمم المتحدة تريدنا أن نسلّم رقابنا إلى سكاكين العدوّ الإسرائيلي ليمعن فيها طعناً.

إن الفساد والتحالف معه والسكوت عنه كلّ ذلك يحفظ تحالفات ظرفيّة وطائفيّة للحزب، لكنه يفتح الباب واسعاً أمام أعداء المقاومة للصق النظام كلّه بالحزب (الذي كان من أقلّ المستفيدين منه). إن توجيه الغضب الشعبي والإعلامي وتركيز مواقع جديدة مثل ميغا فارس سعيد وغيرها (والتي تتلقّى التمويل الأوروبي أو الخليجي) على حزب الله هو نتاج أمر عمليّات خارجي. هذا صحيح، لكنّ الصحيح أيضاً أن سلوك الحزب منذ اندلاع الانتفاضة (هل ما زالت جارية؟) قدّم خدمات جُلّى لأعداء المقاومة. والفساد كان المقتلة الكبرى لمنظمة التحرير الفلسطينية وهو أصاب ـ بدرجة أو بأخرى ـ كل المنظمات الفلسطينيّة بسب وفرة التمويل. إن تجنيد مسؤول منظمة التحرير في تونس، عدنان ياسين، كان بسبب فساده وفساد آخرين في منظمة التحرير (كان عرفات ـ حسب ما روى لي مستشار له ـ لا يُبعد الذين حامت شبهات حولهم عن علاقتهم بالعدوّ، بل كان يقرّبهم ظنّاً منه أنه يستطيع أن يستخدمهم لتمرير رسائل إلى العدوّ حول الحلّ... السلمي). وكيف يمكن لحزب متحالف مع فاسدين أن يبقى في منأى عن الفساد؟

إن الأزمة الاقتصاديّة في لبنان أزمة طويلة والترجيحات تتفق أن النقاهة والتعافي سيحتاجان إلى سنوات طويلة أو عقدين من الزمن. ولا يجب تحميل حزب الله المسؤوليّة الكبرى عن الأزمة أو عن حلّها، لكنه أكبر حزب لبناني (وهو أكبر حزب لبناني في تاريخ لبنان، ولديه أكبر عدد من المقاتلين الذين تجمّعوا في أي حزب لبناني) وهو صاحب أكبر نفوذ إقليمي في تاريخ أحزاب لبنان. لكنّ الحزب ارتضى لنفسه دور الحامي والمدافع عن النظام إلى درجة أنه «يمشي» بالحريري رئيساً للحكومة و «يمشي» بميقاتي رئيساً للحكومة وهو يمشي أيضاً بمرشّح رياض سلامة لوزارة الماليّة، على أن يكون شيعيّاً طبعاً لأن في ذلك ظلفاً وأي ظفر للطائفة. والأحزاب اللبنانيّة تفتقر إلى برامج للحلّ. وحدها حركة «مواطنون ومواطنات في دولة» تقدّمت بمشروع لحل اقتصادي على المدى الطويل (وليس القصير). باقي الأحزاب ودكاكين المجتمع المدني تطرح شعارات لا صلة لها بأساس المشكلة: شعارات عن انتخابات مبكّرة أو عن أن فوز النوادي العلمانيّة في جامعات النخبة الخاصّة كفيل بإسقاط الطبقة الحاكمة. وهناك طبعاً أحزاب سلطة ودكاكين مجتمع مدني وثا ثاو تسير وفق مخطّط التحالف السعودي. الإماراتي. الإسرائيلي. الأميركي. لكن حتى هؤلاء، لا خطة إنقاذ لديهم لأن التحالف المذكور هو تحالف حصار وعقوبات على لبنان، إنه تحالف تشديد الخناق على لبنان. اللوذ بصندوق النقد او البنك الدولي هو ليس إلا تسليماً بما تشترطه أميركا. إن قرار صندوق النقد قبل أيّام بتحويل 2.7 مليار إلى أوكرانيا لا يرجع إلى أزمة اقتصادية تعانيها مثل لبنان، بل لأنها أداة مُستعمرة من قبل الإدارة الأميركيّة. وعندما يدعو سيناتور أميركي (كريس مورفي) السعوديّة إلى مساعدة لبنان ويذكّرها بأن حزب الله هو من المكوّنات اللبنانيّة، يكون يعترف بجزء من الحصار على لبنان، والذي تشارك فيه بلاده (لا ينتمي مورفي إلى القيادة المتنفّذة في الحزب الديمقراطي وهو خارج الخط العام في السياسة الخارجية في الكونغرس).

هناك حملة عالميّة ضد لبنان. ومساعدة لبنان ممنوعة من فريق عريض— خليجي وغربي وبضغط من اللوبي الإسرائيلي في واشنطن، لكنّ العداء لحركات المقاومة في الرياض وأبو ظبي بات يفوق عداء اللوبي الإسرائيلي. والأزمة في لبنان هي أزمة نظام رأسمالي طائفي عفن، وليس هناك من حلّ عادل من ضمن تركيبة النظام. والحزب ارتضى أن يكون ذراع لبنان للدفاع عنه ولردع «إسرائيل» لكن في المقابل ارتضى أن يصبح ركناً من أركان النظام. نفس النظام الذي كان وراء التمسّك بضعف لبنان وسيلة لمراضاة «إسرائيل». وقع الحزب في فخّ التمثيل في الحكم، وفي فخّ التحالفات الطائفيّة مع فاسدين. وجنى من ذلك وزارات لم يتميّز فيها أيّ من وزرائه ولم يتقدّم أيّ منهم بمشروع يدخل في نطاق التغيير الجذري للاقتصاد الذي تنفّذ منه مؤامرات الخليج. «إسرائيل»، أميركا. على العكس، محمد فنيش تقدّم بمشروع لخصخصة الكهرباء والوزير جبق كان أقرب حليف لشركات الدواء الاحتكاريّة. المقاومة لا تزال منيعة وعودها صلباً، لكنّ خللاً يحدث في علاقة كل أحزاب السلطة مع الناس. أهل الجنوب مخلصون للمقاومة لكنّ الحلول الاقتصاديّة الترقيعيّة لا تكفي لتدعيم صمود الجنوبيّين. والعدوّ المتربّص لا يفوّت فرصة لاستغلال نقاط الضعف: من الفساد إلى وصم الحزب بوصمة السلطة الفاسدة. من حقّ الحزب أن يخشى من تأمر 14 آذار وإفرازاته في المجتمع المدني. لكنّ الخشية من الجماهير أو من غضبها على الجور الاقتصادي والفساد يصبح عبئاً على الحزب الذي لم ينجح في حمل همّ المسحوقين والمعذّبين. المقاومة تحمي الجنوب من «إسرائيل»، لكن من يحمي الجنوبيّين (وكل لبنان) من الجوع والقهر والعذاب والفساد؟

* كاتب عربي ـ حسابه على تويتر @asadabukhalil

«النصر الخامس» على الأبواب

حمزة الخنسا *

فتح قرار قيادة حزب الله استقدام سُفن المواد النفطية من إيران عبر الموانئ السورية، الباب على مصراعيه أمام استعادة الحديث عن أهمية سوريا، موقعاً جغرافياً وموقفاً سياسياً، بالنسبة إلى لبنان، خصوصاً في ظل الحصار الأميركي المقنّع الذي يعاني منه، ما أدّى إلى تفاقم الأزمات الاقتصادية والمعيشية. الحديث عن أهمية سوريا بالنسبة إلى حزب الله من المسلّمات التي يعكسها الحزب في أدبياته السياسية والإعلامية، بل وحتى في أدائه وموقفه العملي، إنْ في مشاركته إلى جانب الدولة السورية في «المعركة الكونية» التي فُرضت عليها، أو في التنسيق الدقيق في معركة الجرود، والتي أتت في سياق المعركة الكبرى ذاتها. غير أن «أهمية سوريا» باتت اليوم طبقاً أساسياً على موائد الصالونات السياسية من واشنطن إلى عوكر، وبينهما كل الأطراف التي تدور في الفلك الأميركي.

مستفيداً من عوامل قوة عديدة يمتلكها حزب الله، ليست محصورة فقط في المدى الإقليمي لقوّة المقاومة وتأثيرها، أو في معادلة «الردع البحرية» التي فرضتها إيران، اتّخذ السيّد حسن نصرالله القرار الكبير، وبدأت طلائع القوافل الإيرانية بالوصول إلى المياه الإقليمية السورية. تعرف واشنطن وموفدوها إلى لبنان، وآخرهم وفد من لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الأميركي جالوا على المسؤولين اللبنانيين، أن قرار الحزب هو بمثابة خرق كبير للحصار الأميركي على لبنان، وتجاوز كبير للمنع المفروض على اعتماد أية بدائل للخيارات التي تقع ضمن السلّة الأميركية. إلا أن الأميركيين ينظرون إلى الموقف من زاوية أخرى أكثر التصاقاً بمشروعهم الكبير، خصوصاً للبنان المجاور لفلسطين المحتلة، وبالتالي لمصلحة إسرائيل العليا. يرى الأميركيون أن قرار السيّد نصرالله الأخير، نقل حزب الله من موقع «الصمود» أمام سياسات الحصار والضغوطات الأميركية إلى موقع «التصدّي» المباشر لها، وفي هذا الموقع يأخذ الأميركي في الاعتبار نيّة الحزب واستعداده للذهاب بعيداً في المواجهة هذه.

> انتقل حزب الله من موقع «الصمود» أمام سياسات الحصار والضغوطات الأميركية إلى موقع «التصدي» المباشر لها

توازياً، تعني هذه «النقلة» بالنسبة إلى واشنطن، أن أدواتها في لبنان، من أحزاب وقوى وشخصيات، تقليدية أو حتى «مدنية»، باتت على المحك، فلا هم قادرون على محاربة الحزب في قرار المواجهة والتصدّي للحصار الأميركي، ولا هم أيضاً قادرون على تأييده، ما يعمّق المأزق الذي وُجدوا فيه منذ أن أعلن السيّد نصرالله في خطاب العاشر من محرم، انطلاق أولى سُفن «كسر الحصار» الأميركي عن لبنان.

أعاد قرار حزب الله تظهير أهمية سوريا بالنسبة إلى لبنان، وبالنسبة إلى محور المقاومة أيضاً. لذا، تلاقى التعاطي الأميركي - الإسرائيلي مع الأمر في سوريا. فسارعت الإدارة الأميركية عبر سفيرتها في بيروت إلى الإعلان عن نيّتها واستعدادها لفكّ جزء من عقوباتها/حصارها على سوريا بموجب «قانون قيصر» لفتح الطريق أمام الكهرباء والغاز من الأردن ومصر إلى لبنان عبر الأراضي السورية، ما يعني تأكيداً أميركياً على قيمة سوريا وموقعها بالنسبة إلى لبنان.

اختيار الولايات المتحدة قبول التنافس مع حزب الله بدلاً من مواجهته، يأتي في لحظة تاريخية بالنسبة إليها في ظلّ هزيمتها القائمة في أفغانستان، فيما لم يبقَ لحكومة نفتالي بينيت، في فلسطين المحتلة سوى المشاغبة على القرار عن طريق تفعيل غاراتها الاستعراضية في سوريا. هذا الوضع المستجدّ يحتّم على الدولة اللبنانية الانفتاح على سوريا، ويوفّر لها الفرصة الملائمة لفعل ذلك. لبنانياً، يضع قرار حزب الله الكبير أي حكومة مقبلة أمام أمر واقع لن يكون بإمكانها القفز عنه. حاول الرئيس المكلّف نجيب ميقاتي، كسب المزيد من الوقت لتجاوز مشهد وصول السُّفن وتفريغ حمولاتها. إلا أن واقع وصول السُّفن إلى سوريا بدلاً من لبنان يمكن اعتباره «تسوية» تحفظ ماء وجه الدولة اللبنانية بمؤسساتها، كما الوقائع التي خلقها القرار. إنّ لناحية دفعه الإدارة الأميركية للمنافسة على خطّ «حلّ أزمات لبنان»، ودفْع السيناتور ريتشارد بلومنثال للقول من بيروت إن بلاده «تعمل بنشاط على سبل لحل أزمة الوقود... ولا داعيَ لاعتماد لبنان على الوقود الإيراني»، وإن «أي وقود يجري نقله عبر سوريا خاضع للعقوبات»، مؤكّداً أن واشنطن «تبحث عن سبيل لأداء ذلك من دون عقوبات»، أو لناحية وضْع السيّد نصرالله القرار في الأصل في الإطار الوطني العام غير المقتصر على فئة دون أخرى. كل هذه الوقائع تمهّد الطريق أمام أي حكومة لبنانية مقبلة للعمل بقوة من أجل مطالبة الإدارة الأميركية باستثناءات، أُسوة بحكومات كثيرة تدور في الفلك الأميركي وتحظى باستثناءات من العقوبات الأميركية على إيران.

لطالما تعاطى حزب الله بحذر شديد مع ملفات الوضع الداخلي، لتلافي التصادم مع الخصوم والحلفاء على السّواء. إلا أنه يقف اليوم في صلب معادلة جديدة من المواجهة مع الولايات المتحدة بشكل مباشر. يعرف الحزب أن هذه المعركة لا تنفصل عن المعركة الأساس المتعلقة بحفظ المقاومة، دوراً ومشروعاً وموقعاً. وإن اختلفت في الشكل. لكنه يتحضّر اليوم، مع وصول أول سفينة إيرانية محمّلة بالمواد النفطية، لإعلان «النصر الخامس»، بعد التحرير عام 2000 وتموز عام 2006 والجرود عام 2017 وسوريا.

* من أسرة الأخبار

على الغلاف

سيتحقّق لتركيا، أخيراً ولو بالشّراكة مع قطر، ما أرادته من حضورٍ في مطار كابول. حيث يبدو أنّها ستكون يد «الأطلسي» وعينه في مراقبة الحركة في العاصمة الأفغانية. وإذا كان وجودها هناك وثيق الصّلة بدورها داخل حلف «الناتو»، فإنه يستبطن أبعاداً أخرى سياسيّة وأمنيّة واستراتيجية لا تقلّ أهمّية، على رأسها إمكانيّة أن تكون لها بصمةٌ في رسم التوازنات الإقليمية والدولية الجديدة انطلاقاً من هذا البلد، بما يكفل إرضاء الأميركيّين في نهاية المطاف

تركيا في مطار كابول
يدٌ «أطلسية» بأهداف كثيرة

محمد نور الدين

تكاد الإشارات الدّولية، وآخرها الواردة من واشنطن، تُجمع على التّأكيد أنّ مطار كابول ستتولّى قطر، بالتعاون مع تركيا، تشغيله في الفترة المقبلة. وبعدما كانت أنقرة تتوقّع أن تكون هي المشغّل الوحيد للمطار وفقاً لاتفاقٍ بروكسل في 14 حزيران الماضي بين الرئيسَين التركي رجب طيب إردوغان، والأميركي جو بايدن، جاءت التطوّرات المتسارعة في أفغانستان لتضع تلك الخطط في مهبّ الريح، خصوصاً إثر قرار تركيا سحب جميع قوّاتها من هناك بفعل رفض حركة «طالبان» بقاء أيّ قوات أجنبية على الأراضي الأفغانية. لكن المفاجأة جاءت من الحركة نفسها، التي اقترحت على قطر، كما تركيا، تشغيل المطار فنّياً من دون أيّ تواجدٍ عسكري لهما. وفي حين بادرت الدوحة، على الفور، إلى إرسال فرق استطلاع إلى كابول لهذه الغاية، بدا موقف أنقرة أكثر حذراً، لاسيما في ظلّ ظهور معارضة داخلية لهذا الأمر، مع ذلك، فإن تركيا لا تخفي ارتياحها، على رغم المخاطر الأمنية، لكونها ستقوم بهذه المهمّة ولو بالشراكة مع قطر، بل إنها اقتنعت بشكلٍ من الأشكال بتلك الشراكة، وفق ما أكّده وزير خارجيتها، مولود تشاووش أوغلو، الأمر الذي يستهدف - على ما يبدو - التقليل من حجم أيّ نكسات قد تصيب الجهات التي ستتولّى عملية التشغيل، فلا يكون الضرر - في حالّ حدوثه - واقعاً على طرفٍ واحدٍ دون الآخرين.

وأيّاً يكن، فلا يمكن تفسير حراك تركيا تجاه أفغانستان بمعزلٍ عن كونها عضواً في «حلف شمال الأطلسي»، بل إنّ هذا المنطلق كان في صلب اتّفاق إردوغان - بايدن السّالف الذّكر، فيما تعكس تصريحات مسؤولين في دول «أطلسيّة» رغبة الحلف في أن تنوب تركيا عنه. وفي هذا الإطار، تحدّث وزير الخارجية الفرنسي، جان إيف لودريان، عن لقاء «طالبان» القطريّين والأتراك لبحث تشغيل المطار، فيما أعلنت النّاطقة باسم البيت الأبيض، جين بساكي، أن بلادها تعمل مع أنقرة والدّوحة على ذلك الأمر. وقالت المستشارة الألمانية، أنجيلا ميركل، من جهتها، «إن مطار كابول له أهمية قصوى، ونعمل مع تركيا وقطر لتشغيله»، في حين طالب وزراء خارجية الدول السبع تركيا وقطر بتولّي هذه المهمة. وبينما تفيد المعلومات بأن شركة «سادات» (SADAT) التركية ستأخذ الأمير على عاتقها، فإن الجميع ينظر إلى المعطى المذكور على أنه مؤشّر إلى تشغيل أحادي تركي في الأساس للمطار، على اعتبار أن قطر جزء من تحالفٍ وثيق مع دولة إقليمية و«أطلسية» قويّة مثل تركيا. بالنتيجة، يبدو أن أنقرة ستكون مجرّد واجهةٍ لإبقاء يد «الناتو» في أفغانستان،

> بدت تركيا، بالنسبة إلى «طالبان»، كما لو أنّها الأقرب مذهبياً إليها

وعينه التي تراقب الداخل إلى كابول والخارج منها، بما يشمل حركة قادة «طالبان» الخارجية، لكن المسألة تتجاوز حدود ما تُقدّم، وهنا يمكن إيراد الآتي:

1- إن تشغيل مطار كابول هو هدف تركي أساسي، باعتبار أن إردوغان وعد بايدن بذلك. ومع أن مثل هذه الإمكانية كادت في لحظة ما تتبخّر، لكن «طالبان» عادت ولاقت الاستعداد التركي لتشغيل المطار بإيجابية. وعلى رغم الاعتراضات التركية الداخلية، فإن إردوغان يرى في تولّي هذه المهمة، ولو من دون أنياب عسكرية، أكثر من ضرورة لحفظ ماء الوجه، حتى لا يَظهر وكأنّه فشل في خطّته، وهو ما من شأنه إلحاق ضررٍ بصورته أمام الرأي العام التركي. ويزداد هذا الإصرار لدى إردوغان مع إظهار استطلاعات الرأي تراجعاً قياسياً في شعبية «حزب العدالة والتنمية»، هو الأكبر منذ وصوله إلى السلطة عام 2002. ففي استطلاع أجرته شركة إبراهيم أوصلو، يتبيّن أن الحزب سينال 33 في المئة فقط من الأصوات، فيما شريكه، «حزب الحركة القومية»، سينال من 9 إلى 10 في المئة، أي بمجموع يقارب 44 في المئة فقط، بينما تعطي شركات أخرى أصواتاً أقلّ لـ«العدالة والتنمية» وشريكه.

2- إن قبول تركيا تشغيل المطار من دون حماية عسكرية تركية يعكس حاجة إردوغان القوية إلى الرضى الأميركي، الذي يعمل على نيله بكلّ السبل، لتخفيف الضغوط الأميركية عن أنقرة.

3- تتخوّف تركيا من موجة هجرة أفغانية واسعة إليها عبر إيران، وتتوقّع في حال عجزها عن منع ذلك أن يصبح الأفغان كتلةً كبيرة ثانية بعد الكتلة السورية. لذا، فهي تأمل أن تكون على صلة مباشرة بـ«طالبان» لبحث هذا الموضوع، علماً أن المعارضة تتّهم إردوغان بتحويل تركيا إلى مستودعٍ للمهاجرين، وباختلاق أزمة لجوء أفغاني لابتزاز أوروبا والحصول على المزيد من الأموال.

4- إن تواجد تركيا في مطار كابول، ولو بالشراكة مع قطر، يفتح الباب أمام إيجاد رابط تواصل مع حركة «طالبان»، يمكن أن يتوسّع ليشمل لاحقاً موضوعات أخرى، وهو ما يستهدف عدّة أغراض أبرزها ما يلي:

أوّلاً، أن يكون لتركيا موطئ قدم في أفغانستان، تنطلق منه في لعبة رسم التوازنات الإقليمية والدولية الجديدة في هذا البلد نفسه، خصوصاً أن «طالبان» أعلنت أن الصين ستكون الشريك الأهمّ لها في المرحلة المقبلة، وهو ما يزعج الولايات المتحدة، فتأتي تركيا لتقوم بدور حصان طروادة «الأطلسي» ما أمكنها ذلك. كما أنها ستكون في موقع الندّ لقوى أخرى معادية ومعنيّة جدّاً بالوضع هناك، وعلى رأسها روسيا وإيران، فضلاً عن الصين. وستحاول أنقرة أن تستفيد من علاقاتها الجيّدة مع باكستان، ذات الصلات المهمّة مع «طالبان»، لتنفيذ هذه الأجندة، بل إن الكاتب برهان الدين دوران، المقرّب من إردوغان، يعتقد، في صحيفة «صباح»، أن عدم تواجد قوات عسكرية تركية في المطار يجعل الدبلوماسية التركية تتحرّك بمنأى عن الضغوط التي يمكن أن تتعرّض لها في حال وجود قوات تركية هناك.

ثانياً، بدت تركيا، بالنسبة إلى «طالبان»، كما لو أنها الأقرب مذهبياً إليها، قياساً إلى دول أخرى من مثل إيران وروسيا والصين، وهذا ما يفسّر - جزئياً - موافقتها على تولّي الأتراك تشغيل المطار. وانطلاقاً من المعيار نفسه، لعبت أنقرة على الوتر المذهبي، ولو في حدّه الأدنى، لتجذب الحركة تدريجياً إلى معسكرها، بدلاً من أن تقوم الأخيرة بشبك علاقاتٍ مع دول «غير سنّية» كروسيا وإيران. بل إن السعي التركي هو لاستمالة «طالبان» إلى فئة محدّدة من «المعسكر السنّي»، أي فئة الدول المؤيدة لـ«الإخوان المسلمين»، على حساب دول أخرى كالسعودية والإمارات ومصر. وبذلك، تعتقد تركيا أنها تسجّل هدفاً في مرمى هؤلاء الذين بدأوا الانفتاح عليها، ولكنهم لا يزالون حتى الآن في دائرة المعسكر المعادي. لكن الانطلاق من نزعةٍ مذهبية من جانب تركيا وقطر للتعامل مع الموضوع الأفغاني، يمكن أن يسري على «طالبان» التي ارتضت بدورها التعامل مع فئةٍ دون أخرى من «العالم السنّي»، مع ما قد يستدعيه هذا من تبعات سلبية مستقبلاً على الوضع الأفغاني الداخلي وخطط «طالبان» للتطبيع مع العالم.

ثالثاً، تشير أوساط تركية إلى عامل آخر يدفع تركيا إلى الدخول إلى أفغانستان عبر تشغيل المطار، وهو انتزاع استثمارات واسعة هناك للشركات التركية، والتضييق على مؤسّسات تابعة للداعية فتح الله غولن في منطقة آسيا الوسطى، حيث يُعرف الأخير بنشاطه الواسع التربوي والصّحي، خصوصاً في جمهوريات آسيا الوسطى.

هكذا، تتشابك العوامل الداخلية التركية بالعوامل المذهبية والإقليمية والدولية، فيما ستوضح الأسابيع المقبلة أيّ العوامل سيتقدّم على الأخرى من زاوية الحسابات التركية.

لا يمكن تفسير حراك تركيا تجاه افغانستان بمعزل عن كونها عضواً في «حلف شمال الأطلسي» (أ ف ب)

قضية

«طالبان» بمواجهة «داعش»: سباق الفرص والمخاطر

أعاد الانسحاب الأميركي من أفغانستان، تنظيم «داعش» إلى الواجهة مجدّداً من بوّابة تفجير دموي استهدف محيط مطار كابول. ورسم الكثير من التساؤلات حول مستقبل وجود التنظيم في هذا البلد، بعد سيطرة حركة «طالبان» على السلطة هناك. وفيما تُساق سيناريوات متعدّدة ومتباينة في شأن مصير العلاقة بين الطرفين، لا يبدو أنّ أيّاً منها سيكون سهلاً على كليهما، أو على الأفغان عموماً، خصوصاً إذا ما فشلت عملية تشكيل حكومة قوية تحظى بالإجماع

فرزاد رمضاني بونش *

تطرح عودة تنظيم «داعش في خراسان» إلى واجهة الأحداث في أفغانستان، والتي برزت خصوصاً من خلال التفجير الانتحاري الدّامي في مطار كابول، تساؤلاتٍ عديدة حول مستقبل العلاقة بين هذا التنظيم وحركة «طالبان»، بعد استحواذ الأخيرة على السلطة، فهل ستكون الأصوليّة الإسلامية القاسم المشترك بينهما للتعاون، أم أن «طالبان»، ومن أجل بسط سلطتها على كامل البلاد ونيل الثقة الدولية، ستدخل في مواجهةٍ مع «داعش»، العابر في أفكاره للحدود الأفغانية؟ تعود بداية وجود «داعش» في أفغانستان إلى عام 2015، حين تمكّن من بناء خلاياه في الولايات الشرقية والجنوبية الشرقية، لا سيما في ولاية ننغرهار، وإشهار «ولاية خراسان» كجزء ممّا سُمّيت «الدولة الإسلامية» بقيادة أبو بكر البغدادي. وفي آذار 2015، كان عبد السلام رحيمي، مدير مكتب الرئيس الأفغاني المُنصرف، محمد أشرف غني، أوّل مسؤول يؤكّد وجود التنظيم في أفغانستان، حيث ساهمت عوامل عدّة في ظهوره أبرزها الفراغ الأمني، وغياب الاستقرار السياسي، والتوزيع غير العادل للسلطة، والفوارق الاجتماعية، وهشاشة عملية بناء الدولة، وكذلك غياب التمثّع بدعم اللاعبين الأجانب.

وعلى غرار المناطق الأخرى في العالم، مارس «داعش» في أفغانستان الترهيب والترويع من أجل إرساء حكمه هناك؛ فكانت الهجمات الانتحارية، وعمليات القتل الهادفة، والدعاية المُوجّهة عبر وسائل الإعلام الحديثة. في المقابل، ساهمت الهجمات التي شُنّت عليه من قِبَل الولايات المتحدة، والحكومة الأفغانية، والسكان المحلّيين، وقوات «طالبان»، خلال السنوات الماضية، في قتل عددٍ كبير من عناصره، أو القبض عليهم، إلى حدّ أن الحكومة أعلنت أن التنظيم قد أُبيد عام 2019. ولكن على رغم أنه فقد معظم مناطق سيطرته في أفغانستان، وتعرّض لخسائر بشرية فادحة على مستوى القيادة والمقاتلين، إلّا أنه بقي صامداً وحاضراً في أرجاء البلاد. وفي أواسط عام 2020، قُدّم شهاب المهاجر كأمير لـ«داعش» في «ولاية خراسان». وتبنّى التنظيم، خلال الشهرين الأولَيين من عام 2021 فقط، مسؤولية 47 هجوماً في أفغانستان. كما تفيد التقديرات المختلفة بأن ما يتراوح بين ألف و4 آلاف مقاتل لـ«داعش» ينتشرون حالياً في الولايات الأفغانية، بما فيها بدخشان وهيلمند وسريل وتخار وكندوز، فيما تعدّ كنر المعقل الرئيس له، شرقي أفغانستان.

في مستهل وجود «داعش» في افغانستان، راقبت «طالبان» نشاطاته بدقّة، من دون أن تصطدم به (أ ف ب)

العلاقة مع «طالبان»

في مستهلّ وجود «داعش» في أفغانستان في عام 2015، راقبت «طالبان» نشاطات التنظيم بدقّة في ولاية ننغرهار، إلا أنها لم تسمح لقادته العسكريين بالعمل ضدّه مع أنها كانت قادرة على التصدّي له - وعلى رغم أنه أيضاً قتل والبيها في الولاية المذكورة -، وهو ما سمح له بالاستيلاء على مساحات ومناطق شاسعة. وكان يُظنّ، في البداية، أن «داعش» و«طالبان» يتواطآن معاً ضدّ الحكومة الأفغانية والوجود الأميركي، ولكن اتّضح مبكراً، تأسيساً على أهداف التنظيم (إعلان الخلافة العامة)، أنّ الأخير في صدد إزاحة الحركة التي تمتنع عن مبايعة «خليفة الدولة الإسلامية». ومع الوقت، تنامت كراهية أحدهما للآخر، خصوصاً عندما نعت البغدادي، زعيم «طالبان»، بأنه «أمير حرب أخرق وجاهل»، ووصف الحركة بأنها «مجموعة ذات نزعةٍ عرقية، تحمل أفكاراً قبلية ومحدودة، ومن دون إنجازات»، وبأنّها «أداة طيّعة بيد باكستان». وفي المقابل، رفضت «طالبان» طاعة «داعش»، معتبرة أن نشاطه يشكّل خطراً على مناطق سيطرتها في أفغانستان، كما طالبته، في رسائل مفتوحة، بأن يجعل أفراده يعلنون تحت إمرتها. وفي العام ذاته، أي عام 2015، أعلن الطرفان الحرب ضدّ بعضهما البعض، ووصفها كلاهما بـ«المقدّسة». وفيما تُعتبر «طالبان» أكثر اعتدالاً مقارنة بالمجموعات المتطرّفة الأخرى، خصوصاً بعد تخلّيها عن أفكارها ورؤاها التوسّعية وحصر أهدافها بإقامة «الإمارة الإسلامية» ضمن حدود أفغانستان فقط، يتبنّى «داعش» فكرة إقامة «الدولة الإسلامية» على مساحة العالم، ولذا فإن أفغانستان تُعدّ بالنسبة إليه جزءاً من «ولاية خراسان». وإلى جانب قبولها مدرسة «ديوبندية» الفكرية، فإن تقاليد عرقية «البشتون» وعاداتها حاضرة بشكل جلي في أفكار «طالبان»، بينما يصف «داعش» انتهاج الحركة للمذهب «الحنفي» بالمتعنّت، ويرفض إجازة دعمها كونها تعتنق العقيدة «الماتريدية». ولهذه الأسباب وغيرها، يُعدّ «داعش»، «طالبان»، كافرة، فيما تُعتبر الأخيرة وجوده في أفغانستان «ظاهرة أميركية».

وسط كلّ ذلك، يبقى الأمل معقوداً، لدى الحركة والتنظيم على السواء، على متغيّرَين رئيسيَن، يمكن أن يقود أحدهما إلى تقارب بين «طالبان» والمجموعات الأخرى بوجه «داعش»، فيما قد يستتبع الآخر انشقاق عناصر عن الحركة، بالنسبة للمتغيّر الأول، فإن خطر «داعش» وأعماله الإرهابية ضدّ الشعب الأفغاني، قد يحوّلان مسألة خوض مواجهة ضدّه إلى القضية الرئيسة للأفغان، ويؤدّيان إلى تقارب «طالبان» مع المجموعات الأفغانية المعارضة لها، للتصدّي لخطره. أمّا بالنسبة للمتغيّر الثاني، فإن عدول الحركة عن بعض أهدافها وتطلّعاتها السابقة في الميدانَين السياسي والاجتماعي والعلاقات الخارجية، قد يُفسّر من جانب بعض أعضائها المتطرفين على أنّه ضربٌ من التراجع عن أهداف «الجهاد»، ويُسفر عن التحاقهم بـ«داعش». وبما أنّ القطيعة مع المجموعات الإرهابية الدولية، تُعدّ من الشروط الأساسية للاعتراف بـ«أفغانستان الجديدة» من قِبَل الدول الأخرى، فإن المواجهة مع «داعش» تشكّل أمراً ضرورياً وحيوياً بالنسبة لـ«طالبان». لكن هذه القضية يمكن أن تدفع المقاتلين الأجانب المتحالفين سابقاً مع الحركة، إلى الانضمام إلى التنظيم، الذي يأمل في استقطابهم أصلاً.

يبقى أنّه في حال خرج التوتّر بين «طالبان» ومعارضيها عن السيطرة، وإن لم تتشكّل حكومة قويّة تحظى بالإجماع في أفغانستان، عندها ستتوافر أفضل الظروف لتنامي قوة «داعش».

> تفيد التقديرات بأن ما بين ألف و4 آلاف مقاتل موالين لـ«داعش» ينتشرون في الولايات الأفغانية

* خبير وباحث في الشؤون الأفغانية في طهران

تقرير

الخرطوم «تردّ الجميل»: أهلاً بالعملاء الأفغان

بات من شبه المؤكّد أن السودان سيستقبل عدداً من المهاجرين الأفغان، بعد هروبهم من بلادهم على أثر استعادة «طالبان» السيطرة على غالبية المقاطعات. ويُعزى هذا القرار إلى خلفيّات عدّة، أبرزها «ردّ الجميل» لواشنطن، بعدما حذفت الأخيرة الخرطوم من «قائمة الدول الراعية للإرهاب»

الخرطوم ـ مي علي

من باب «ردّ الجميل»، بعد موافقة الولايات المتحدة على حذف اسم السودان من «قائمة الدول الراعية للإرهاب»، فضلاً عن رفع العقوبات الاقتصادية عنه، وافقت الحكومة السودانية على استضافة عدد من موظّفي الحكومة الأفغانية المنصرفة، الموالين للولايات المتحدة، والذين يريدون الهرب من بلادهم إثر استعادة حركة «طالبان» السيطرة عليها، بالتزامن مع الانسحاب الأميركي من هناك. وفي هذا الإطار، أعلن مجلس الأمن والدفاع المشترك، برئاسة عبد الفتاح البرهان، رئيس مجلس السيادة، ليل أول من أمس في بيان، موافقته المبدئية على استضافة مجموعات محدودة من الأفغان. وبحسب البيان، فقد جاءت هذه الموافقة «استجابة للنداء الإنساني»، علماً أن سريانها يبقى خاضعاً لمزيد من الإجراءات والترتيبات. لكنّ مصادر دبلوماسية تعرب عن اعتقادها، في حديث إلى «الأخبار»، عن أن موافقة الحكومة السودانية النهائية هي «أمرٌ محسوم»، معتبرة أن الاقتصار على إعلان الموافقة المبدئية يستهدف «رصد ردّ فعل الشارع، وإبقاء إمكانية التراجع عن القرار إذا ما استدعى الأمر ذلك». ويبدو أن زيارة رئيس الأركان، الفريق محمد عثمان الحسين، للدوحة، منتصف الأسبوع الماضي، برفقة مدير الاستخبارات العسكرية، بحثت إلى جانب تبادل الخبرات العسكرية بين البلدين، ترتيب ملفّ استضافة المجموعة الأفغانية. وتكشف المصادر أن الإدارة الأميركية خاطبت الخرطوم، مباشرة، بشأن هذه المسألة، مضيفة أن «أميركا تحدّثت عن أوضاع السودان الاقتصادية، لكنّها مرّرت طلبها باستضافة عدد محدود من الأفغان كنوع من الدعم الدولي للخرطوم». ووصفت المجموعات التي طلبت واشنطن تواجدها في الأراضي الأفغانية»، لافتة إلى أن «التوجّه الحكومي يفتح الباب لهم يستهدف إرضاء الأصدقاء الجدد»، متوقّعة في الوقت نفسه ألّا تطول فترة إقامة هؤلاء في الخرطوم، بسبب اختلاف المناخ والبيئة في السودان عنهما في أفغانستان.

من جهته، يعتبر الخبير السياسي والقيادي في «حزب البعث العربي»، يحيى الحسين، أن «المجموعة التي سيتمّ إرسالها إلى السودان، لا ترقى إلى مستوى يسمح باستضافتها في الأراضي الأميركية»، و«لذلك قامت واشنطن بتوزيع هؤلاء على البلدان التي يحكمها موالون لها». ويقول الحسين: «بما أن قطر دولة صغيرة وافرة الموارد، فقد قامت بانتقاء مجموعة من الأفغان المهاجرين إليها، بحيث يمكن الاستفادة منهم إعلامياً في تغذية برامجها السياسية على قناة الجزيرة». أمّا الباقون، وفق الحسين، فـ«لا بأس بتخزينهم في السودان». ولا يستبعد الخبير السوداني أن «يلعب هؤلاء دوراً في تنفيذ سياسة الهيمنة الأميركية على السودان». وعلى الرغم من أن قرار الاستضافة سياسي، إلّا أنه بدا لافتاً اضطلاع مجلس الأمن والدفاع بمهمّة إعلانه. وفي هذا السياق، يرى محلّلون أن «تسديد الفواتير السياسية للإدارة الأميركية لن يتوقّف في القريب»، معتبرين أن «الحكومة مرغمة على تسديد مثل تلك الفواتير، نتيجة لرفعها شعار الانفتاح والتبعية للمجتمع الدولي». أمّا في شأن تماهي العسكر مع الحكومة المدنية في ذلك الملف، فيشير مراقبون إلى أنه يعود إلى خشيتهم من الملاحقة القانونية في ملفّات عديدة، لن يكون آخرها ملف فضّ الاعتصام من أمام باحة القيادة العامّة للجيش، بالإضافة إلى المحافظة على المكاسب التي تحقّقت لهم بتسنّمهم أعلى سلطة في البلد. في المقابل، يبدو مفارقاً صمت القوى السياسية عن الموضوع، وعدم صدور أيّ موقف مؤيّد أو معارض من قِبَلها، وهو ما يفسّره الحسين بالقول إن «القوى السياسية أضحت تنفّذ برامج تُملى عليها من الخارج»، مضيفاً أن «هؤلاء يعملون مع كفلائهم على تصفية الآخرين».

كشف المصادر أن الإدارة الأميركية خاطبت الخرطوم مباشرة بشأن هذه المهاجرين الأفغان (من الويب)

الحدث

مساعٍ لإحياء المفاوضات قريباً
«ثلاثيّ القاهرة» يحضّر أوراق «السلام»

يكثّف الثلاثي المصري - الأردني - الفلسطيني، بغطاء من إدارة جو بايدن، تحرّكاته على خطّ إحياء ما يُسمّى «عملية السلام». ومن أجل ذلك، يسعى عبد الفتاح السيسي إلى إطلاق مفاوضات مباشرة بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي قبل نهاية العام الجاري، توازيًا مع استمرار توسّط بلاده لإرساء هدنة طويلة الأمد في غزة. تنيح، وفق ما انتُظر له القاهرة، البدء بمشاريع «تنمية مستدامة» في القطاع

توافق الأطراف الثلاثة على تقديم تصوّرات خلال الفترة المقبلة في شأن استئناف المفاوضات (أ ف ب)

القاهرة ـ **الأخبار**

يستقبل الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، رئيس الوزراء الإسرائيلي، نفتالي بينت، في مدينة شرم الشيخ الأسبوع المقبل، في زيارةٍ هي الأولى من نوعها لرئيس حكومة إسرائيلي منذ أكثر من عشر سنوات، تستهدف، بحسب ما يُروَّج لها مصريّاً، التمهيد لاستئناف المفاوضات المباشرة بين الفلسطينيّين والإسرائيليّين خلال الفترة المقبلة. وستأتي الزيارة، التي جرى الإعلان عنها أخيراً خلال زيارة مدير المخابرات العامة عباس كامل إلى تل أبيب، بعد أيام من القمّة الثلاثيّة التي عُقدت أوّل من أمس في القاهرة، بين السيسي وملك الأردن عبد الله الثاني ورئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، فيما بدا واضحاً وجود توافق عباس، فيما الإمارات مؤقتاً عن هذا الملفّ، بعدما حاولت خلال الفترة الماضية إيجاد دور لها على خطه.

> تعهّد السيسي بدعوة تل أبيب إلى مفاوضات مباشرة قبل نهاية العام الحالي

وإذ خرجت القمّة، في شقّها المعلَن، بالبيانات الروتينية نفسها عن دعم إقامة دولة على حدود الرابع من حزيران 1967، تكون عاصمتها القدس الشرقية، تُوافق الأطراف الثلاثة على تقديم تصوّرات خلال الفترة المقبلة في شأن استئناف المفاوضات، على أن يتمّ بحثها في لقاء السيسي ـ بينت، ومن ثمّ استكمال مناقشتها على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة مع المسؤولين الأميركيين. وبحسب مصادر شاركت في جزء من اللقاءات الثلاثية التي تضمّنت جلسةً مغلقة، فإن السيسي سيعرض على بينت خطوطاً عريضة لاستئناف المفاوضات، بما يتناسب مع طبيعة التعقيدات التي تعتري الحكومة الإسرائيلية الحالية، وبما يسمح بتقبّلها داخل «الكنيست» أو حتى في الشارع. وعلى خطّ موازٍ، سيجري العمل على إحياء جهود تحقيق المصالحة الفلسطينية، مع تحديد موعد لاستئناف المباحثات في شأنها في القاهرة. وفي هذا الإطار، تعهّد عباس، كما سبقَ أن فعل في لقاءاته مع مسؤولي المخابرات المصرية، بتقديم التنازلات اللازمة لإتمام المصالحة، فيما اشترط الجانب المصري أن تكون خطوات حركة «فتح» جدّية وقابلة للتنفيذ، مقابل ضمان نيل التزامات مماثلة من حركة «حماس»، مشدّداً على ضرورة وضع جدول زمني وإطار للتفاوض بين الحركتَيْن قبل انعقاد لقاءاتهما الثنائية في القاهرة.

من جهته، تطرّق ملك الأردن إلى الرؤية الأميركية التي لم تُعَد تعطي أولويّة للملفّ الفلسطيني، داعياً إلى استمرار الحشد الدّولي لدعم منظّمات الإغاثة، مؤكداً أن تحسين الأوضاع في غزة يمثّل أولوية مشتركة للقاهرة وعمّان. واعتبر عبد الله أن استئناف التفاوض المباشر بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي ستكون له آثار إيجابية، بما فيها إمكانية إجراء انتخابات فلسطينية في وقت قريب، من أجل تشكيل حكومة وحدة وطنية قادرة على التفاوض باسم الفلسطينيين، وهي الرؤية نفسها التي يدعمها السيسي. وتتطلّع مصر، أيضاً، إلى تثبيت الهدنة الحالية في قطاع غزة، تمهيداً للوصول إلى هدنةٍ طويلة الأمد معترَف بها دولياً، بما يسمح ببدء تنفيذ مشروعات تنمية مستدامة في القطاع، تأخذ القاهرة على عاتقها دعمها ورعايتها مباشرة. ووفق مصدر مصري تحدّث إلى «الأخبار»، فإن السيسي، الذي تعهّد بدعوة الحكومة الإسرائيلية إلى الانخراط في مفاوضات مباشرة قد تجري في شرم الشيخ قبل نهاية العام الحالي، يأمل في عقد «مؤتمر للسلام» في أقرب فرصة، سواءً بحضور أطراف عربية إلى جانب الولايات المتحدة، أو اقتصاره في مرحلة أولى على مصر والأردن، وهو أمر سيكون رهناً بمدى اهتمام واشنطن بحضور الجولات الأولى، فيما ستجري مناقشة الأمر مع الإماراتيين أيضاً، في لقاءات مرتقبة خلال الفترة المقبلة.

متابعة

تونس
سعيّد يمهّد للاستفتاء الدستوريّ

تونس ـ **أنيس الشعبوني**

لمّح الرئيس التونسي، قيس سعيد، خلال لقائه مساء أول من أمس مع عميد المحامين، إبراهيم بودربالة، ونائب رئيس "الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان"، بسّام الطريفي، وكاتبها العام، البشير العبيدي، إلى معالم خارطة الطريق التي ينوي الإعلان عنها قريباً، ومن أبرز عناصرها تنظيم استفتاء للشعب في شأن تعديلات دستورية. سعيد، الذي تعهّد باحترام الحقوق والحريات وسيادة القانون ومحاربة الفساد، قال: "سنعود إلى الشعب صاحب السيادة، هو الذي يقرّر في إطار القانون". وفُهمت من هذا التصريح نيّة الرئيس تنظيم انتخابات مبكرة، بحسب الباحث في القانون الدستوري، الدكتور رابح الخرايفي، المحامي لدى محكمة التمييز، والذي اعتبر أن "الخطوات الدستورية المقبلة توضّحت: انتخابات تشريعية سابقة لأوانها، ويمكن أن ترافقها انتخابات رئاسية سابقة لأوانها أيضاً". الجملة التي استخدمها سعيد، والتي تشير إلى العودة إلى الشعب، تدلّ، أيضاً، على تعليق العمل بالدستور، وعرض مسودة مشروع دستور على الاستفتاء. أمّا حلقة المرور إلى ذلك، فهي صدور قانون تنظيم مؤقّت للسلطات (دستور مصغّر) تسير بمقتضاه مؤسسات الدولة، إلى أن تُنظَّم انتخابات تشريعية.

الجملة التي استخدمها سعيد تدلّ أيضاً على تعليق العمل بالدستور (أ ف ب)

وتزامنت كلمة الرئيس التونسي مع زيارة يجريها وفد أميركي برئاسة السيناتور الديمقراطي، كريس مورفي، الذي استنجد به عضو المكتب التنفيذي المستقيل، رضوان المصمودي (حامل الجنسية الأميركية، وعرّاب العلاقة بين "النهضة" وواشنطن)، للضغط على سعيد، وإجباره على بدء ما سمّاه "المسار الديمقراطي". ورفع التجميد عن البرلمان. وينوي الوفد الأميركي، الذي يغادر تونس اليوم، لقاء مجموعة من أعضاء البرلمان المجمّد، وقيادات أحزاب ومنظّمات، لكنّ عدداً من النواب رفضوا لقاءه، ومن بينهم النائب عن "الحزب الدستوري الحر"، ثامر سعد. كذلك، رفضت قيادة "الاتحاد العام التونسي للشغل" - أقوى المنظمات الوطنية - و"الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان" الاجتماع بالوفد الأميركي، فيما اعتبر عدد من الأكاديميين التونسيين والناشطين على وسائل التواصل الاجتماعي، أن هذه الزيارة هدفها الأساسي الضغط على سعيد من أجل إعادة تنشيط البرلمان، عادّين إيّاها محاولة للتدخّل في الشأن التونسي، "يرفضها عموم التونسيين".

وأدّى المخاض الذي تعيشه تونس منذ 25 تموز الماضي، إلى الآن، إلى إزاحة "حركة النهضة" عن مراكز القرار، لكن لم يُسجَّل أيّ إجراء ضدّ قياديها الذين يُتّهم بعضهم بالفساد، وله ملفّات في السلك القضائي المالي والاقتصادي. كذلك، لم يجرِ فتح ملفّات الجمعيات القريبة من الحركة، والتي تتلقّى تحويلات مالية ضخمة من الخارج، وخصوصاً من قطر وتركيا. وهذا ما دفع بعدد كبير من الذين باركوا إعلان سعيد عن تدابير استثنائية، إلى التشكيك في نيّته تفكيك المنظومة الحزبية. ومن هذا المنطلق، يبدو أن الحماس لهذه التدابير قد فتر لدى بعض الأوساط، خصوصاً مع غياب الحكومة، والتأخّر في الإعلان عن خارطة الطريق.

مقالة تحليلة

تعدّد المسارات الأردنية: بحثاً عن منفذ... ومكانة

تبدو أجندة الملك الأردني، عبد الله الثاني، شديدة الازدحام، منذ زيارته لواشنطن في تموز الماضي، وصولاً إلى لقاءاته المتتابعة في موسكو وبغداد، وأخيراً في القاهرة. فبعدما تنفّس مكتب الملك الصعداء في ظلّ تخفيف القيود التي فرضها «كوفيد-19» محلياً وعالمياً، ومع رحيل «الكابوس» المتمثّل في إدارة دونالد ترامب، تجد عمّان الفرصة مناسبة للترويج لنفسها سياسياً واقتصادياً، عبر ملفّين رئيسين: هما فلسطين وسوريا، فيما يبدو لبنان أيضاً «صيداً ثميناً»، ربّما يعود الاشتغال على خطّه بفوائد غير سهلة على المملكة

عمّان ـ **الأخبار**

متابعاً ملفّات بلاده الخارجية، يستميت عبد الله الثاني في محاولته إعادة عمّان إلى المشهد الإقليمي، كلاعب رئيس وليس كموظف تنفيذي كما كان الحال منذ عام 2011. وبعيداً عن الوضع الداخلي والمؤشّرات الاقتصادية المقلقة في شأن نسب الفقر والبطالة وغيرهما، يبدو الملك أكثر اهتماماً بتثبيت وضع الأردن إزاء الحلفاء والأصدقاء والأعداء على السواء، مراهناً على إمكانية تحسين الوضع الداخلي عبر القناة الخارجية، بالنظر إلى أن الفرص داخلياً تبدو محدودة جدّاً. بدأ التحضير لما تَقدّم منذ ما قبل دخول الرئيس الأميركي، جو بايدن، إلى البيت الأبيض، وذلك من بوّابة الملفّ الفلسطيني الذي تَمثّل المقترح الأردني الرئيس فيه في إحياء «عملية السلام»، بشكل يضمن تنفيس أيّ احتقان في الضفة أو في غزة، وإنعاش الاقتصاد الفلسطيني عبر القناة الأردنية. وهذا ما ظهرت بوادره في اللقاء الذي جمع وزير الخارجية أيمن الصفدي، بنظيره الإسرائيلي يائير لابيد، على الجانب الأردني من جسر الملك حسين في تموز الماضي، والذي أفضى إلى رفع سقف الصادرات الأردنية إلى الضفة الغربية من 160 مليون دولار سنوياً إلى حوالى 700 مليون دولار سنوياً، منها 470 مليون دولار للمنتجات المطابقة للمواصفات الفلسطينية، في زيادة ضخمة تقارب 437%، تضع علامات استفهام حول الاهتمام المفاجئ بالصادرات الأردنية إلى الضفة الغربية، ولا سيما مع غياب ممثّل للسلطة الفلسطينية عن الاجتماع، واعتبار أن 67% من هذه الصادرات مطابقة للمواصفات الفلسطينية.

وبعد لقاء الصفدي - لابيد بنحو شهر، اجتمعت وزيرة الصناعة والتجارة والتموين مها علي، مع وزير الاقتصاد الوطني الفلسطيني خالد العسيلي، في عمّان، حيث أطلعت علي، العسيلي، على الترتيبات الجارية بالفعل لرفع الصادرات الأردنية إلى السوق الفلسطيني. على أن عمّان لا تلعب منفردة في الملفّ الفلسطيني، بل تنسّق بشكل مباشر مع رئاسة السلطة والقاهرة، وهذا ما يفسّر اللقاء الثلاثي الذي انعقد أول من أمس في العاصمة المصرية، والذي يأتي في إطار محاولة الحفاظ على التهدئة، وإحداث انتعاش اقتصادي في الضفة عبر الأردن، وفي غزة عبر مصر، ضمن شروط تل أبيب التي تستهدف تقوية علاقتها مع جيرانها المطبّعين من جهة، وإسناد السلطة في الوقت الحالي تجنّباً لأيّ فوضى في مناطق سيطرتها، من جهة أخرى. إذاً، وضع الأردن تصوّراته الخاصة في الملفّ الفلسطيني، وتحرّك تبعاً لها، بعد أن سمع من بايدن ما يؤكد عدم وجود نيّة أميركية لرعاية مفاوضات فلسطينية - إسرائيلية بالشكل المعهود، من دون معارضة المسار الذي قد تتّفق عليه تل أبيب ورام الله، فضلاً عن دعم «حلّ الدولتين» الذي يتمسّك به الأردن لاعتبارات داخلية تقيه خطر الوطن البديل.

وعلى رغم أن الملف الفلسطيني يبدو المسيطر على جدول أعمال الملك عبد الله، إلا أن ما هو أخطر منه، والذي يُعتبر ملفاً أمنياً واقتصادياً، يتمثّل في الجارة سوريا، التي بدا لافتاً تبدّل اللهجة الأردنية تجاهها، عبر الحديث عنها كعضو في «جامعة الدول العربية»، ومخاطبة الدول العربية بضرورة إيجاد حلّ للوضع السوري من منظور عربي، في خطوة تبدو ذات دلالة كبيرة، بعد عقد من الحرب في سوريا، وصمود الدولة هناك، وإعادة انتخاب الرئيس بشار الأسد، ولو عبر انتخابات اعتبرها الأردن «شكلية». هذا في البعد الأوّل من الملفّ السوري. أمّا البعد الثاني فمتعلّق باستمرار الهدوء على الحدود المشتركة، حفاظاً على المصالح الأردنية والأميركية في شمال الأردن، والمصالح الروسية، وتسكيناً للتوتّر الإسرائيلي، بما يدرأ مواجهة أكبر في المنطقة تكون شرارتها الجنوب السوري، وذلك ما تتّفق عليه على السواء عمّان وواشنطن وموسكو التي قصدها عبد الله أخيراً بعد التوتر في درعا. والبعد الثالث والأخير يتمثّل في حصول الأردن على استثناء من تبعات قانون «قيصر» من أجل إحياء خطّ التجارة بين عمّان ودمشق، في ما قد يكون اتّفق عليه بشكل ضمني خلال زيارة الملك لواشنطن، من دون المجاهرة به، وهو ما يفسّر اللقاءات الأردنية السورية على مستوى الوزراء، بعد قطيعة طويلة منذ اندلاع الحرب في السوريا. ويركّز الأردن في محادثاته مع الأميركيين على الجانب الاقتصادي، بعد أن جسّ نبض السوريين الذين أبدوا حسن نوايا منذ عرض «المياه مقابل الكهرباء» على الأردن، في نهاية ولاية رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق، بنيامين نتنياهو، الأخيرة.

> يبدو أن الأردن حصل ضمناً على استثناء من تبعات قانون «قيصر» من أجل إحياء خطّ التجارة بين عمّان ودمشق

على خطّ موازٍ، ثمّة فرصة ذهبية تراها أطراف عدّة في أقبول الأميركي باستثناء الأردن من قانون «قيصر»، وذلك عبر فتح خط جديد على لبنان المتعثّر اقتصادياً، والذي يحتاج إلى تدخّل خارجي «غير فاقع» تبدو المملكة مناسبة لتولّيه، كدولة عربية تتسلّح بقرار عربي، وستُدعم بأموال عربية إن تحقّق الاختراق للساحة اللبنانية. كما أنها حليف قوي للولايات المتحدة، ولديها «معاهدة سلام» مع إسرائيل وليس مجرّد اتفاق سلام حصل ضمن حرب انتخابية أميركية قابل للتغيير والتعديل وحتى الإلغاء. وبتَمكّن الأردن، في ما يعرضه على لبنان، أي الكهربا، حالياً عبر سوريا، على مشروع الربط الثماني السابق، مع ملاحظة أن التجهيزات الفنية موجودة، وما يحتاج إليه الأمر فقط قرار سياسي ودعم اقتصادي بسيط للمضيّ فيه، وبهذا، يجد الأردن زبوناً جديداً لكهربائه بعد العراق والسلطة الفلسطينية والسعودية، من دون أن يغيب عن الذهن أن عمّان تستخدم الغاز الإسرائيلي، الذي يصل من المنطقة الشمالية القريبة من الحدود مع سوريا (ينتهي خط الغاز في منطقة الخناصري الشمالية البعيدة نحو 33 كم عن درعا)، لتوليد الكهرباء. يعلم الملك عبد الله وإدارته القريبة أن هذه المبادرات، سواءً سُمّيَت «الشام الجديد» أو «شرق أوسط جديد»، تحتاج إلى الجغرافيا الأردنية، وهو الآن معنيّ أكثر من أي وقت سابق باستغلال تلك الجغرافيا مقابل دعم حكمه ومن بعده ابنه من جهة، وبإحداث تطوّر في الوضع الاقتصادي الملتبس كي لا تخيّم النهاية اللبنانية الاقتصادية على الداخل الأردني، من جهة أخرى. ولذا، فهو بدأ باللعب بأوراقه المهمّة، ومن بينها ورقة اللاجئين الفلسطينيين التي يتحضّر لاستخدامها في مؤتمر المانحين في السويد، واللاجئين السوريين من خلال إيجاد طريقة لدفع «المجتمع الدولي» إلى الإيفاء بالتزاماته في شأنهم تجاه عمّان.

قضية

ما تعانيه سوريا اليوم ليس سوى انفجار لمشكلة قديمة تتعلّق بزيادة الطلب على الطاقة (أ ف ب)

قبل حوالى أحد عشر عاماً، أعلن ديمتري ميدفيديف، وكان حينها رئيساً لروسيا، أن بلاده تدرس إمكانية إنشاء «محطة نووية» لإنتاج الكهرباء في سوريا. لكن دخول البلاد في أتون الحرب، أوقف على ما يبدو المشروع الروسي. ومع اشتداد أزمة الكهرباء التي تعيشها البلاد حالياً، يعود هذا المشروع إلى الواجهة من بوّابة التساؤل عن إمكانية إعادة إحيائه، والخيارات المتوافرة بدلاً منه

سوريا في دوّامة الكهرباء
«النووي» بعيد المنال... فتّشوا عن غيره

زياد غصن

حيرة ما بعدها حيرة، تلك التي تنتاب السوريين في تعاملهم مع وضع الكهرباء في بلدهم. فالمنظومة التي تعرّضت في أجزاء واسعة منها للتخريب والنهب بفعل سنوات الحرب، تمكّنت، خلال فترة زمنية قياسية، من العودة إلى الخدمة مجدّداً، في جميع المناطق التي استعادت السلطات سيطرتها عليها، على رغم تبعات الحصار وعوائقه، وهو ما زاد عدد المستفيدين من الكهرباء خلال السنوات الثلاث الممتدّة من 2016 ولغاية 2019، من 2,8 مليون إلى 4,2 ملايين. لكن هذه المنظومة نفسها تبدو اليوم، مع تغيّر الظروف العامة وتحسّن الوضع الأمني، عاجزة عن إدارة إمدادات الطاقة الكهربائية بنجاح، كما فعلت في السنوات التي مثّلت أعلى درجات التهديد، لا سيما عندما تمكّن تنظيم «داعش» من وضع يده على معظم حقول النفط والغاز في المنطقتين الشرقية والوسطى.

وفي تفسيرهم لذلك العجز، لا يتوقّف المهتمّون بشؤون الطاقة عندما يرتبط بالمنظومة الكهربائية من تجهيزات ومعدّات لنقل الطاقة الكهربائية وتوزيعها؛ إذ إن تلك التجهيزات يمكن استيرادها بطريقة أو بأخرى أيّاً كانت شدّة الحصار، بدليل أن وزارة الكهرباء استطاعت مثلاً، خلال السنوات الثلاث المذكورة، إعادة تأهيل 72 محطة تحويل، و7259 مركز تحويل، و5900 كم من شبكات التوزيع. لكن ما تعانيه سوريا اليوم ليس سوى انفجار لمشكلة قديمة تتعلّق بزيادة الطلب على الطاقة، بحسب ما يشير إليه الباحث في شؤون الطاقة، زياد عربش. وهذا ربّما ما جعل دمشق تفكّر جدّياً، مع نهاية العقد الأول من القرن الحالي، بالتوجّه نحو استخدام الطاقة النووية في إنتاج الكهرباء، وفق ما كشفه الرئيس الروسي السابق، ديمتري ميدفيديف، خلال زيارته دمشق في أيار من عام 2010، حيث أعلن أن موسكو تدرس بناء محطّة كهرباء نووية في سوريا، ثمّ جاءت وثيقة نشرتها «الوكالة الدولية للطاقة الذرية» في عام 2011، لتُظهر أيضاً أن «سوريا تدرس بناء أولى محطاتها النووية بحلول عام 2020، لتلبية الطلب المتسارع على الكهرباء».

عملية مكلفة ومعقدة

لكن مشروع المحطّة النووية الروسية، والذي كان حاضراً على أجندة دمشق قبل عقد ونيّف، لا يبدو أنه سيُكتب له أن يبصر النور على المدى القريب، وربما المتوسّط أيضاً، وذلك لسببين: الأوّل متعلّق بالتكلفة العالية التي باتت سوريا بفعل الحرب وأضرارها الكارثية عاجزة عن تحمّلها، إذ بحسب ما يذكر خبير حكومي في مجال الكهرباء، فإن التوجّه نحو استخدام الطاقة النووية في إنتاج الكهرباء يمثّل عملية مكلفة ومعقدة جداً، حيث تبلغ مثلاً تكلفة الكيلو واط المركّب من المحطة الكهرونووية حوالى 5 آلاف دولار، وهو رقم كبير جداً مقارنة بالإنتاج التقليدي لبلد كسوريا. أمّا السبب الثاني، فيتمثّل في موقف الدول الكبرى المعنيّة باستخدامات الطاقة النووية، والتي لا تزال إلى الآن تعارض أيّ مساهمة دولية في عملية إعادة الإعمار، وتالياً فهي ستكون رافضة بحزم لأيّ توجّه

> **لا يبدو أن مشروع المحطة النووية الروسية سيُكتب له أن يبصر النور على المدى القريب**

سوري نحو الاستخدامات السلمية للطاقة النووية، متذرّعة بحجج كثيرة، أهمّها عدم الثقة بحقيقة النوايا السورية من مشروع كهذا، في ظلّ حضور العامل الإسرائيلي، والمخاوف المرتبطة بأمن تلك المنشآت.

يُضاف إلى ما تقدّم أن المشروع يبدو أيضاً مؤجّلاً، حتى بالنسبة إلى حلفاء دمشق. فما كان ممكناً قبل عام 2011، لم يَعُد كذلك بعد عقد ونيّف من حرب مدمّرة وعقوبات غربية خانقة. وهذا لا يقتصر على مشاريع الحلول التي باتت تنتشر إقليمياً لتلبية الطلب على الكهرباء، وإنما يشمل، ولو مؤقتاً، إعادة إعمار البنية التحتية للقطاع بشكله التقليدي. وبحسب ما يذكر الدكتور سنان علي ديب، رئيس «جمعية العلوم الاقتصادية» في اللاذقية، فإن «من المؤكّد أن مسيرة الدول الصديقة بعد قانون قيصر لا تدلّ على وجود نوايا كهذه، فإعادة إعمار البنى التحتية لقطاع الكهرباء بحاجة إلى جهود تلك الدول ومساعدتها، ولكن ما نراه اليوم أن هناك تباطؤاً، وأحياناً تمنّعاً في ظل الظروف الراهنة والتعقيدات الإقليمية والتغيرات العالمية». ويضيف، في تصريح إلى «الأخبار»، أنه على «رغم حاجة تلك الدول استراتيجياً إلى سوريا، إلا أن هناك عراقيل، وأحياناً هذه العراقيل تكون محلية، فضلاً عن أسلوب تعاطي الدول مع عملية إعادة الإعمار».

مزيدٌ من الغاز

في ضوء ذلك، فإن الخيارات السورية في معالجة أزمة الكهرباء القائمة حالياً، تبدو محصورة في ثلاثة محاور أساسية:

الأول، وهو الأكثر ضرورة اليوم، يتمثّل في العمل على توسيع عمليات الاستكشاف والتنقيب عن الغاز وتسريعها، بغية سدّ جانب من الفجوة المتشكّلة بين الطلب على الغاز من قِبَل محطات توليد الكهرباء، وبين المتاح حالياً، وذلك ريثما تتمكّن دمشق من استعادة السيطرة على حقولها النفطية والغازية في منطقة الجزيرة. ووفقاً لبيانات وزارة الكهرباء، فقد شهدت كميات الغاز الواصلة إلى محطات التوليد تراجعاً منذ عام 2020، حيث بلغ معدلها الوسطي حوالى 11,4 مليون متر مكعب، مقابل 13 مليون متر مكعب في عام 2019، ومثلها تقريباً في عام 2018، علماً أن نسبة الإنتاج الكهربائي المعتمد على الغاز بلغت في العام الماضي حوالى 69%، في حين أن نسبة الإنتاج الكلي المعتمد على الفيول أو المازوت كانت حوالى 31%.

المحور الثاني، يتعلّق بالعمل على تطوير محطات التوليد الموجودة وإعادة تأهيلها وبناء محطات جديدة، حيث تؤكد البيانات الرسمية أن القدرة الحالية للمحطات القائمة، وفقاً لوضعها الفني وكميات الغاز المتوافرة في عام 2020، بلغت حوالى 4382 ميغا واط، وهي تشكّل بذلك حوالى 52% من الاستطاعة الكلية لتلك المحطات التي مضى على استثمار بعضها عدة عقود من الزمن. وبحسب الخطة الحكومية المعلنة، فإن هناك ثلاثة مشروعات قيد التنفيذ هي: مشروع التوسّع الثاني لمحطة دير علي، ومشروع محطة توليد اللاذقية، ومشروع توسّع محطة توليد تشرين البخارية، وهناك مشروع لإعادة تأهيل محطة حلب الحرارية بقيمة 14,6 مليون يورو بالتعاون مع شركة إيرانية، إضافة إلى مشروع بناء ثلاث محطات توليد جديدة هي: محطة توليد حلب باستطاعة 2*300 ميغاوات، ومحطة توليد دير الزور باستطاعة 300 ميغاوات، ومشروع محطة توليد في حلب أيضاً (مجموعة بخارية) باستطاعة 300 ميغاوات.

أمّا المحور الثالث، فهو خاص بمحطات الطاقات المتجدّدة الداعمة لمحطات التوليد التقليدية. وفي هذا المجال، ثمّة ثلاثة مشروعات حكومية هي: مشروع توسيع محطة توليد بالطاقة الشمسية في منطقة الكسوة في ريف دمشق باستطاعة 1,6 ميغاوات، ومشروع إنشاء محطة توليد بالطاقة الشمسية في جندر باستطاعة 30 ميغاوات، ومشروع إنشاء محطة توليد بالطاقة الشمسية في حلب باستطاعة 33 ميغاوات. هذا إضافة إلى مشروعات الطاقات المتجدّدة التي بدأ القطاع الخاص بتأسيسها لتأمين احتياجاته من الطاقة الكهربائية، لا سيما في المناطق الصناعية، والبداية كانت من مدينة عدرا الصناعية.

أيّ فائدة من نقل الكهرباء والغاز إلى لبنان؟

بينما تنتظر الحكومة في دمشق وفداً رسمياً لبنانياً سيتوجّه إليها لبحث مسألة استجرار الكهرباء من الأردن إلى لبنان عبر سوريا، وكذلك الغاز المصري الذي من المفترض أن يتمّ نقله عبر شبكة الأنابيب السورية نحو الشمال اللبناني، يبدو أن المسؤولين الحكوميين السوريين يعوّلون على هذا المشروع للاستفادة منه، ولو عرَضياً، لمصلحة بلادهم. ولذا، فهم قرّروا، بحسب معلومات «الأخبار»، «تقديم كامل التسهيلات لإيصال الكهرباء والغاز إلى لبنان»، بعد «توجيه من الرئيس الأسد شخصياً». وتكمن موارد الاستفادة السورية من هذه الخطوة، في مجالين: الأوّل إمكانية تقاضي بدل نقل الكهرباء من الأردن إلى لبنان عبر الشبكات السورية، بالعملة الصعبة التي تحتاج إليها البلاد، والثاني الحصول على حصّة من الغاز المصري الوارد إلى لبنان عبر الأنابيب السورية، بدل قبض ثمن النقل مالياً.

وفيات

وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون
تسليماً بمشيئة الله تعالى وبمزيد من الحزن والأسى ننعى إليكم عميد الاغتراب اللبناني في أفريقيا ورئيس المجلس القاري الأفريقي السابق - ورئيس المجلس الوطني - شاطئ العاج، الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم

الحاج نجيب زهر (أبو ياسين)

الذي وافته المنية فجر يوم الجمعة 3 أيلول عن عمر ناهز الـ83 عاماً.

زوجته: إكرام عبد النبي مرتضى
أبناؤه: الراحل ياسين، ياسر، ناصر وياسين.
بناته: يسرى، نسرين زوجة مروان حمادة
أشقاؤه: المرحوم محمد، الحاج أحمد وعلي.
شقيقاته: المرحومة صباح، الحاجة نجاح، الحاجة زينب، المرحومة خديجة.
الأسفون: آل زهر، آل مرتضى، آل حيدر، آل سعد، آل زين، آل الصباح.
وعموم أهالي عيتا الجبل وأبناء الاغتراب والجاليات في أفريقيا عموماً وفي ساحل العاج خصوصاً.
صُلي على جثمانه الطاهر ووري الثرى في مسقط رأسه، بلدته عيتا الجبل يوم الجمعة 2021/9/3.
نظراً إلى الظروف الصحية (كورونا) تقبل التعازي على الأرقام التالية:
أشقاؤه:
الحاج أحمد زهر: 70/352933
علي زهر: 0022500707088890
زوجته:
إكرام زهر: 03/382491
أولاده:
ناصر زهر: 03/219018
ياسين زهر: 03/380326
ياسر زهر: 002250789669720
يسرى زهر: 70/844000
نسرين زهر: 03/680078

إعلانات رسمية

إعلان بيع سيارة

صادر عن دائرة تنفيذ بيروت
المعاملة التنفيذية رقم 2017/1405
طالب التنفيذ: شكرة بشيرتكس فاشن كولكشن حريري غروب ش.م.ل.
وكيلها المحامي فادي جمال الدين
المنفذ عليه: محمد مصطفى منيمنة.
تطرح هذه الدائرة للبيع بالمزاد العلني للمرة الأولى في تمام الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الاثنين الواقع في 2021/9/13 السيارة المحجوزة رقم /165109/ ص ماركة مرسيدس سنة الصنع 1996 لون أسود بقيمة التخمين البالغ /6,424,000/ل.ل.
فعلى الراغب في الشراء الحضور في الموعد اعلاه الى مرآب الارز الكائن في منطقة شاتيلا مصحوبا بالثمن نقداً وخمسة بالمائة رسم دلالة.
مأمور تنفيذ بيروت
نبيل نعوس

دعوة إلى جمعية عمومية عادية

لجمعية مالكي الاقسام المختلفة في العقار رقم /١٩٩٧/من منطقة ذوق مصبح العقارية

"مشروع سوار"

يتشرف رئيس مجلس جمعية مالكي الاقسام المختلفة في العقار رقم /١٩٩٧/ من منطقة ذوق مصبح العقارية "مشروع سوار" بدعوتكم لحضور الجمعية العمومية العادية السنوية التي ستنعقد دورتها الاولى في مركز الجمعية في ذوق مصبح يوم الجمعة الواقع في ٢٠٢١/٠٩/١٧ الساعة ٤ بعد الظهر.
وفي حال عدم اكتمال النصاب تكون الدورة الثانية يوم الاثنين الواقع في ٢٠٢١/١٠/٠٤ الساعة ٤ بعد الظهر في مركز جمعية في ذوق مصبح.
إن الجمعية العمومية العادية السنوية مدعوة للتداول بجدول الأعمال التالي:
١- تلاوة التقرير الاداري من قبل رئيس الجمعية.
٢- الاطلاع على الميزانية العمومية لعام ٢٠٢٠ ومناقشتها وابراء ذمة رئيس الجمعية عن أعمال العام ٢٠٢٠.
٣- انتخاب رئيس جديد للجمعية كما وانتخاب اعضاء مجلس جمعية المالكين.
٤- البحث بالوضع المالي والمصرفي الحالي في البلد ومدى تأثيره على سلفات مصاريف الأقسام المشتركة ومصاريف أخرى.
٥- الاطلاع على النفقات الفعلية من كانون الاول ٢٠٢١ حتى آب ٢٠٢١ كما وعلى مشروع موازنة عام ٢٠٢١ والموافقة عليه.
٦- مناقشة واتخاذ القرارات المتعلقة بسلفات مصاريف الأقسام المشتركة ومصاريف اخرى للعام ٢٠٢٢ مع الأخذ بعين الاعتبار وضع البلد الراهن وغير المستقر.
٧- امور مختلفة.
على كل مالك قسم خاص حضور الجمعية شخصياً أو تمثيلاً بواسطة مالك آخر بموجب تفويض خطي صريح.
رئيس الجمعية جمعية مالكي الاقسام المختلفة
في العقار رقم /١٩٩٧/ من منطقة ذوق مصبح العقارية "مشروع سوار"
رينه متى

www.al-akhbar.com
إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
الأخبار al-akhbar
هاتف 01-759500
واتساب 71-513571
فاكس 01-759597

استراحة

كلمات متقاطعة 3826

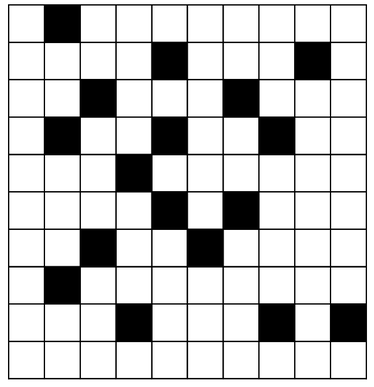

أفقيا

1- عاصمة الجبل الأسود السابقة – 2- يفي بالوعد – من الفاكهة – 3- ظهر من بعيد – إلهام ربّاني – ثرى – 4- والد – وثب بلغة العامة – حرف نصب – 5- عائلة موسيقي إيطالي راحل – حرف جزم – 6- ماركة أقفال – مدينة لبنانية – 7- إسم لملوك إكليز – صفار البيض – إسم موصول – 8- سهل في سوريا – 9- عائلة عارضة أزياء أوسترالية – صنف – 10- حدث رياضي دولي

عمودياً

1- أمبراطور روماني – 2- نُصب صخري جبار في مصر – 3- من الفاكهة – متحدّر من عائلة كريمة – 4- تهيّأ للحملة في الحرب – حرف جر – مدينة إيرانية – 5- عاصمة الشيشان – مدينة فرنسية – 6- موالع بالحبيب – 7- شبه جزيرة يونانية فيها العاصمة أثينا – رجل أسطوري إشتهر بالحمق والبلاهة تنسب إليه نوادر وفكاهات – 8- آلة موسيقية – فولاذ – من الألوان – 9- مقياس مساحة – حرف أبجدي – للندبة – 10- رئيس مجلس نيابي لبناني راحل

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- ايسلندا – له – 2- سيدني – فرّان – 3- يا – سرج – 4- دم – وفا – مر – 5- ما – الإحساس – 6- دهوك – بُرَت – 7- رش – ري – نعيم – 8- باندا – 9- داخ – جن – بار – 10- رشيد الصلح

عمودياً

1- أسف – مدريد – 2- ي ي – داهش – أر – 3- سديم – بخش – 4- لنا – اكرا – 5- ني – ول – بنجَد – 6- سفاح – دنا – 7- أفراح – تا – 8- زج – سبع – بَص – 9- لا – ماريشال – 10- هَند رستم – زُح

sudoku 3826

	5		8			1	2	
			9			5	3	
4	6	3						7
6				1				8
1		7				6		2
5				7				9
2						8	9	3
	7	1			3			
	8	5			2		4	

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3825

7	1	3	4	6	9	2	5	8
4	6	9	8	2	5	1	3	7
2	5	8	1	3	7	4	6	9
9	4	1	2	5	3	7	8	6
3	2	5	7	8	6	9	1	4
6	8	7	9	1	4	3	2	5
1	3	4	5	9	8	6	7	2
5	9	2	6	7	1	8	4	3
8	7	6	3	4	2	5	9	1

مشاهير 3826

رياضي لبناني يعتبر أفضل رياضي عربي في الوثب العالي. يحمل الرقم القياسي اللبناني بعدما اجتاز ارتفاع 2,27 م عام 2004 في لقاء دولي في بوخارست

9+8+4+2+3 = جبل نار ■ 11+5+2+9 = تلاميذ ■ 1+6+10+7 = حصان

إعداد
نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: ربو فردينان

الأخبار
al-akhbar
السبت 4 أيلول 2021 العدد 4429

صورة وخبر

مزّقت لوحة للفنان البريطاني مجهول الهوية «بانكسي» نفسها، في تشرين الأوّل (أكتوبر) 2018 في اللّحظة التي بيعت فيها في مزادٍ لدار «سوذبيز» في لندن بأكثر من مليون جنيه استرليني. اليوم، تعيد جامعة الأعمال الفنية الأوروبية المجهولة التي اشترت Girl with Balloon طرح القطعة للبيع. هكذا، تستكمل الاستعدادات في «سوذبيز» لإقامة مزادٍ في 14 تشرين الأوّل المقبل، مشيرةً إلى أنّ سعر اللّوحة التي أسماها «بانكسي» لاحقاً Love is the Bin سيتراوح بين 4 و 6 ملايين جنيه إسترليني. سيُعرض العمل في لندن اليوم السبت وغداً الأحد، قبل أن ينتقل إلى هونغ كونغ وتايبيه ونيويورك، ومن ثمّ يعود إلى العاصمة البريطانيّة تمهيداً للحدث المنتظر. (تولغا أكمن ـ أف ب)

بين فلسطين وصيدا ... «200 متر»

بين 10 أيلول (سبتمبر) الحالي و1 تشرين الأوّل (أكتوبر) المقبل، تقدّم «متروبوليس سينما» بالاشتراك مع مسرح وسينما «إشبيلية» (صيدا) برنامجاً خاصاً بالأفلام العربية. البداية، ستكون مع فيلم «200 متر» للمخرج الفلسطيني أمين نايفة. على مدى 90 دقيقة، يغوص نايفة في جدار الفصل العنصري الذي بناه الصهاينة في فلسطين وما خلّفه من معاناة حقيقية على الأرض، من خلال تتبّع حكاية «مصطفى» وزوجته «سلوى». وكان الشريط قد حصد عدداً من الجوائز، من بينها جائزة الجمهور في «مهرجان البندقية» العام الماضي.

عرض فيلم «200 متر»: الجمعة 10 أيلول ـ الساعة السابعة مساءً ـ مسرح وسينما «إشبيلية» (شارع حسام الدين الحريري ـ صيدا/ جنوب لبنان). الدخول مجاني. للاستعلام: 71/270090

إلهام نصر تابت: «الظاهرة الفيروزية»

في «المعهد العالي للدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية» في الجامعة اللبنانية، ناقشت رئيسة تحرير مجلة «الجيش» إلهام نصر تابت (الصورة)، أطروحة دكتوراه في العلوم الاجتماعية بعنوان «الظاهرة الفيروزية: مكوناتها وتأثيراتها»، ونالت شهادة الدكتوراه بدرجة جيد جداً. ضمّت اللجنة الأكاديميين: بسام الهاشم (مشرفاً)، ناصيف نعمة (رئيساً) والأعضاء شوقي عطية ولبنى طربيه وزينب مروة. وطرحت الباحثة سؤالاً أساسياً مفاده: «كيف استطاعت فيروز التي بنت شهرتها في حقبة معيّنة لها طابعها التاريخي والثقافي والاجتماعي، أن تحافظ على نجوميتها في خلال عقود متواصلة، على الرغم مما شهدته هذه العقود من تغيرات وتطورات، على مستويي الواقع العام وإنتاج الفن وتلقيه».

آن ماري جاسر: «لمّا شفتك» أونلاين

لغاية يوم الخميس المقبل، يبقى فيلم «لما شُفتك» (98 د ـ 2012/ الصورة) للمخرجة الفلسطينية آن ماري جاسر متوافراً للمشاهدة عبر موقع «قافلة بين سينمائيّات» الإلكتروني.
تدور أحداث الشريط في الأردن عام 1967 في وقتٍ كان فيه العالم ينبض بالتغيير. غير أنّ نوعاً مختلفاً من التغيير ساد وقتها في الأردن، حيث تدفّق عشرات الآلاف من اللاجئين عبر الحدود من فلسطين. وكان «طارق» (محمود عسفة) البالغ من العمر 11 عاماً وأمّه «غيداء» (ربى بلال) جزءاً من الموجة الجديدة من اللاجئين بعد انفصاله عن والده في فوضى الحرب. بعد وضعهما في مخيم لاجئين «مؤقت» حتى يتمكّنا من العودة، ينتظر «طارق» ووالدته لم شملهما مع الأب. ومثل الجيل الذي سبقهما الذي وصل في عام 1948 يواجهان صعوبات التكيّف مع الحياة الجديدة. هكذا، يبحث «طارق» المصاب بالتوحّد عن مخرج، ويكتشف أملاً جديداً ينبثق مع مرور الزمن. في النهاية، تقوده روحه الحرّة وطبيعته الفضولية إلى مجموعة من الأشخاص في رحلة ستغيّر حياته. يقفز «لمّا شُفتك» بالزمن إلى هزيمة 1967 وآثارها الكارثيّة، معيداً الاعتبار إلى الكفاح المسلّح. ومن بين الأسماء التي تضمّها قائمة الأبطال، نذكر: صالح بكري، محمود الخلاصات، علي عليان وغيرهم.
إلى جانب مشاركاته في أهم المهرجانات العالمية والعربية، حصل العمل على «جائزة شبكة تعزيز السينما الآسيوية» (NETPAC) عن فئة أفضل فيلم آسيوي في «مهرجان برلين السينمائي» وجائزة لجنة التحكيم في «مهرجان القاهرة السينمائي» والجائزة الأولى في «مهرجان سالونيك الدولي» في اليونان وغيرها.

متوافر على موقع www.womencaravan.online لغاية التاسع من أيلول (سبتمبر) الحالي.

جوي وأوليفر: بلوز وبوب وروك

تضرب جوي فيّاض (الصورة)، اليوم السبت موعداً جديداً مع الجمهور في NOW Beirut بالاشتراك مع أوليفر معلوف. إنّها دعوة للاستمتاع بسهرة مليئة بالغناء والموسيقى، في ظل كلّ ما يعانيه اللبنانيون من مشاكل. فياض معروفة بالعروض الحيّة التي تجمع فيها بين الغناء والعزف على مجموعة من الآلات من بينها الغيتار والهارمونيكا والترومبيت، مستعيدةً روائع البلوز والبوب والروك، من دون أن يخلو البرنامج من الأعمال الأصلية.
وإلى جانب جوي، يطل أوليفر الذي سيلهب الأجواء بمقطوعات موسيقية يؤدّيها على الكمان.

حفلة جوي فياض وأوليفر معلوف: اليوم السبت ـ الساعة التاسعة مساءً ـ NOW Beirut (شارع سليم بسترس ـ الأشرفية ـ بيروت). للاستعلام: 01/211122

الأخبار
al-akhbar
السبت 4 أيلول 2021
العدد 4429 السنة السادسة عشرة
Samedi 4 Septembre 2021 nº 4429 16ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي
www.al-akhbar.com

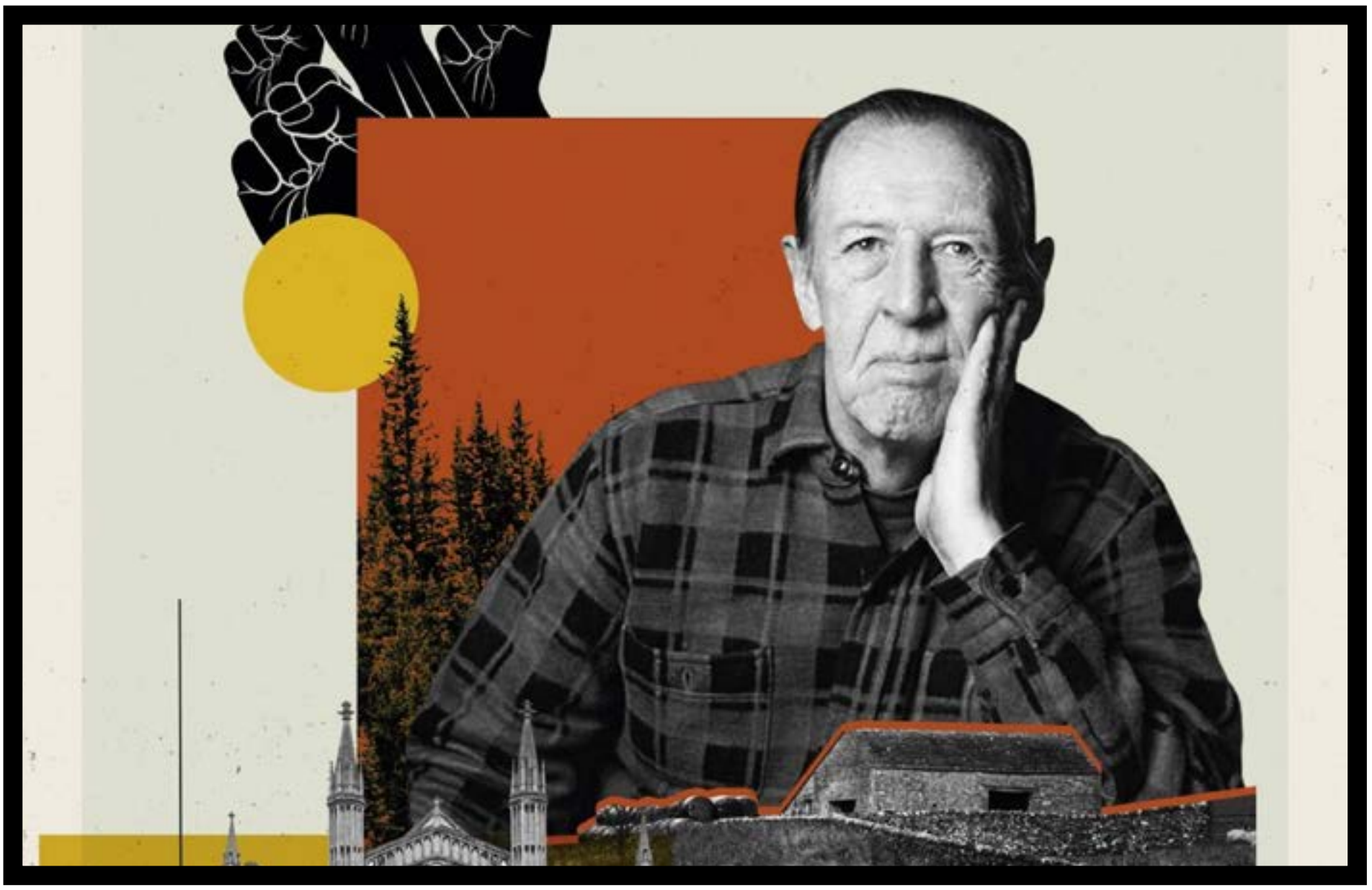

مئوية رايموند ويليامز
استرداد الثقافة من النخبة

سعيد محمّد

قبل رايموند ويليامز (1921 ـ 1988)، الناقد الثقافي البريطاني، كان التصوّر السائد بين المثقّفين البورجوازيّين يرى في الثقافة الرفيعة للأقليّة النخبويّة المحاصرة بالطّبقات الشعبيّة معقلاً أخيراً للقيم المتحضّرة في المجتمعات الغربيّة. وفق هؤلاء البرجوازيين دائماً، كانت هذه الثقافة تحاصرها قوى فوضوية ووحوش أطلقتها مرحلة الحداثة: التّصنيع الرّخيص ومجتمع البروليتاريا أو الطبقة العاملة.

ويليامز، الذي يحتفل اليسار البريطاني بمئويّته هذا العام، كان يعتبر تلك النّظرة الفوقيّة للثقافة نِتاج قصر نظر وسوء تقييم: فلا عاقل ينكر قيمة منجزات الثورة الصناعيّة والمكاسب التي جلبتها للبشرية كالطاقة البخاريّة والكهرباء، لكنّ مثقّفي البرجوازيّة عجزوا عن التقاط الحقيقة الساطعة: العدو ليس الإنتاج الصناعي بحد ذاته، بل الرأسماليّة التي تدير ذلك الإنتاج وتحدّد أُطره ومساحاته. ووفق ذلك، رفض ويليامز بحرارة فكرة أن أدوات الإعلام الحديثة: التلفزيون، والإذاعة، والسينما قد أفسدت الجماهير وانحطّت بأذواقها، مجادلاً بأن ما أفسد الجماهير بالفعل كانت تجليّات الرأسماليّة: الانقسامات الطبقية الحادّة، وفجوة المدخول، والثروات الفلكيّة للأقليّة المرفّهة التي يحركها مبدأ وحيد: دافع تعظيم الربح، والمنافحة عن الملكية الخاصة.

أسّس ويليامز «المادية الثقافية» – على نسق المادة التاريخيّة - منهاجاً جديداً للتحليل النقدي للمنتج الثقافي، يجعل من الممارسة الثقافية جزءاً من عملية متدفّقة وديناميكيّة مزروعة في نسقٍ تاريخيّ. وفي إطار هذا المنهج، طوّر ويليامز عدداً من المفاهيم النظرية الدائمة: فقد حدّد «بنية الشعور» الإنساني في ما يتعلّق بتذوّق العمل الفنيّ بأنّه «فضاءُ التفاعل بين الوعي الجّمعي في حقبةٍ تاريخيّة معيّنة وتلك التجربة المتكاملة للعيش الفعلي بكل ما يترتب عليه». وأصرّ في جدالاته مع كبار النقّاد على استعادة الثقافة من شكلها النّخبوي المترفّع والمعتزل في أبراج عاجيّة ودورها الترفيهيّ والذاتيّ إلى صيغة ممارسة حياتية اعتياديّة، ويوميّة، أقرب إلى أن تكون جماهيريّة على نحوٍ ما، يتم إنتاجها وإعادة إنتاجها بشكلٍ مستمر كجزءٍ حيويّ من نضالنا اليوميّ لفهم بيئتنا ومحاولة تفسيرها وإعادة توصيفها حتّى «نتمكّن من العيش فيها بنجاح أكبر»، ويمكن بالتالي للمجموعات البشريّة أن تطوّر ـ وتعيش ـ «طريقة متكاملة لممارسة الحياة»، من دون حتميّة العبوديّة التامّة للأوضاع القائمة الموروثة.

رسم ويليامز توتراً بين ثلاث قوى تتقاطع في تطوير المنتج الثقافي في مجتمعٍ معيّن: الموروثة (العناصر التقليديّة التي تراكمت سابقاً في إطار عمليّة تاريخيّة)، والمهيمنة (المرتبطة بمصدر السلطة وتستهدف لعب دور فاعل في صياغة الوعي)، والصّاعدة (الإبداعيّة والمتحدّية للأوضاع القائمة). هكذا لم تعد الطبقة العاملة مجرّد ضحيّة تتلقى الثقافة وتستهلكها لمصلحة ديمومة الهيمنة التي عادةً لا تتعارض بشكلٍ سافر مع الموروث، بل قد تعيد توظيفه، وإنما قوّة فاعلة يمكنها استهلاك المنتج الثقافيّ بغير الغاية التي أرادها منتجوه، وإعادة استخدامه في مجالٍ آخر وبطريقةٍ أخرى، وإبداع نماذج مختلفة منه. وفي تفكيك التوتر الناتج عن تقاطع تلك القوى، يمكن نقد المنتج الثقافي وموضعته في الإطار الكلّي للعمليّة الثقافيّة المستمرة في المجتمع.

تفكير ويليامز الجديد بشأن الثقافة الذي كان مفصلياً في تأسيس ما يعرف اليوم بالدراسات الثقافيّة، لم يستهدف مقارعة الفكر البورجوازي فحسب، بل شنّ حرباً على نوع من ماركسية ميكانيكيّة مبتذلة خفّضت من مكانة الثقافة إلى مجرّد اشتقاقٍ فرعي لنمط الإنتاج الاقتصادي لمجتمع ما. وعلى غرار الماركسيّ الإيطالي أنطونيو غرامشي في نظريته عن الهيمنة الثقافيّة، اعتبر ويليامز الثقافة مجالاً أساسياً في الحياة المجتمعيّة «يتم فيه التعبير عن السلطة، وتمظهراتها في الواقع، والوقت عينه منازعتها ومواجهتها».

لم يعد فهمنا للثقافة بعد ويليامز كما كان قبله. لقد ترك بصماته واضحةً على جيلٍ كاملٍ من المنظّرين الثقافيين من أمثال إدوارد سعيد، وستيورات هول، وجولييت ميتشيل. الثقافة لم تعد مقتصرةً على محاضرات «جامعة كامبريدج» أو مقتنيات المتاحف أو مسرحيّات شكسبير. لقد بتنا نراها في كلّ موضع نشاط إنساني: من الأغاني الشعبيّة إلى طريقة البناء، ومن التلفزيون إلى الأزياء، ومن الصحافة الشعبيّة إلى المنظّمات العماليّة الأهليّة (كالنقابات). وفي الاحتفال بمئوية ويليامز اليوم، اعترافٌ خجول ـ ومتأخرٌ ربمّا ـ بمساهمته الهائلة والاستثنائيّة والجميلة في تشكيل الفكر والنقد المعاصرين.

حوار

آمنة الرميلي: الرواية شكل سردي «إمبريالي» وسيّد الفنون كلّها

لفتت الروائيّة والجامعية في كليّة الآداب والعلوم الإنسانية في سوسة آمنة الرميلي الأنظار بروايتها الجديدة «شطّ الأرواح» (دار محمد علي للنشر ـ تونس) التي طرحت مآساة الشباب التونسي والمغاربي والأفريقي الذي يلتهمه المتوسط كلّ عام، حالماً بالوصول إلى الضفة الأخرى. الرميلي، التي توّجت بين الفائزات بالجائزة الوطنية «زبيدة بشير» لأفضل الكتابات النسائية التونسية لسنة 2020، إذ نالت «جائزة الإبداع الأدبي» عن روايتها تعتبر أنّ التزام الكاتب بمشاغل الشارع التونسي يقع في صميم الكتابة. لقد كانت أعمالها المتتالية مثل «جمر وماء» و«الباقي» و«توجات» في صميم الالتزام بالقضايا الاجتماعية والسياسية والدفاع عن الحريات والعدالة الاجتماعية والديمقراطية. مسارٌ انخرطت فيه آمنة الرميلي منذ السبعينات، زمن التحصيل الجامعي في مواجهة الآلة الأمنيّة للنّظام الذي لم يكن يسمح بمساحاتٍ كبيرةٍ لمعارضيه. بالتّوازي مع هواجس الكتابة ورهاناتها روايةً وشعراً (كتبت للأغنية والأوبرا)، تسهم آمنة الرميلي في الحركة النسوية، هي التي تعدّ من الأصوات البارزة في الحركة النسوية التونسية في الدفاع عن المساواة والتحديث. يعدّ كتابها «المرأة والمشروع الحداثي في فكر الطاهر الحداد» من أبرز الأعمال الأكاديمية التي أنصفت المصلح الاجتماعي الرائد الذي كان وراء «مجلة (قانون) الأحوال الشخصية» التي منعت تعدّد الزوجات وزواج الفتاة قبل سن 18 عاماً ترجمةً لأفكار الطاهر الحداد التي تحققت بعد الاستقلال بصادرة من الزعيم الحبيب بورقيبة (1903-2000) لتكون سابقةً في العالمين العربي والإسلامي. في هذا الحوار، تتحدث آمنة الرميلي عن الرواية والشعر والمشروع التحديثي التونسي

تقديم وحوار **أنيس الشعبوني**

■ روايتك «شطّ الأرواح» حقّقت نجاحاً كبيراً. ماذا أضافت إليك هذه التجربة؟

ـ أسمّي كتابة الرواية «المغامرة المركّبة». مغامرة ذهنيّة نفسيّة في اللغة وبالّلغة، ولحظة طويلة ممتدّة في الزمن من البناء والتركيب والهدم وإعادة البناء. كتابة الرواية ليست فقط «حكاية» نرويها لقارئ كامن فينا أو موجود خارجنا، وإنّما هي «هندسة حكائيّة» أو «تشكيل حدثيّ» شديد التعقيد له خارطة شروط صعبة التنفيذ غالباً. على هذا «التشكيل الحدثي» أو تلك «الهندسة الحكائيّة» أن تكون منسجمة غير مشغّلة، وأن تقنع وتدهش في آن. وأن تكون مستحدثة لا تكرّر نصّاً سابقاً، ولكن عليها أيضاً أن تحدّث القارئ بما يعرف ويفهم ويقبل. وعلى الرواية أن تعلن من ناحية أولى عن ذات فذّ هي الذّات المنشئة، وعليها من ناحية أخرى أن تحمل علامات الانتماء الجمعيّ لتلك الذّات المنشئة وأن يجد فيها القارئ ذاته أيضاً. إنّها فعلاً «مغامرة مركّبة»، وأنا أعيش هذه «المغامرة المركّبة» مع كلّ رواية أكتبها، وأحاول قدر الإمكان أن أوازن بين خطوطها والمَ شعثها وأربط شظاياها الكثيرة. لم تكن «شطّ الأرواح» سوى مناسبة أخرى لهذه «اللعبة» اللغوية الصعبة الخطرة واللّذيذة في آن. وقد يكون أنّي أصبحت أكثر مثابرة في اللعبة اللغوية وأكثر جرأة على اختلاق عوالم سردية ليست دائماً مستجيبة لتوقّعات القارئ. ومن هنا سرّ هذا النجاح الذي استقبلت به الرواية وطاقة الإدهاش التي حقّقتها لدى القارئ كما بلغني عبر القراءات المختصة ودخول الرواية بسرعة لم أتوقّعها إلى أيدي الباحثين في أكثر من مخبر جامعي في تونس. «شطّ الأرواح» هي روايتي التي تركت فيها حبال السرد تقودني حيثما شاءت أو شئتُ، فلامست مناطق مثيرة وتفاوضتُ مع كوامن القارئ ومخاوفه البعيدة، وحاولت أن أنقل إليه مخاوفي وغضبي وزهابي وعقدي الواعية واللاواعية وأنا أحدّثه عن «الجثث» و«الأرواح» و«الأحياء الأموات» من خلال ظاهرة واقعية يعرفها القارئ التونسي والعربي والكوني هي «الهجرة غير الشرعية» أو «الحرّاقة» كما نقول في تونس.

■ بدأت مسيرتك بالبحث في فكر الطاهر الحدّاد (1899 ـ 1935)، كيف ترين دوره في مسار التحديث في تونس؟

ـ لولا الطاهر الحدّاد، لما كانت المرأة التونسية تحظى بهذه الوضعية التي تحظى بها على الأقلّ على مستوى القوانين التي تخصّ وضعها الاجتماعي والحقوقي والإنساني. يُردّ الفضل عادة في تحرّر المرأة التونسية من وضعها السابق إلى وضعها الحالي، إلى الزعيم الحبيب بورقيبة، لكن لولا مشروع الطاهر الحدّاد التحرّري، لما استطاع بورقيبة أن يفعل ما فعله. ولنقرّ بأنّ ما فعله بورقيبة أمر عظيم وتاريخيّ وريادي، فقد جعل أوّل دستور يُكتب في تونس بُعيد الاستقلال (20 آذار/مارس 1956) هو «مجلّة الأحوال الشخصية»، التي أعلنت يوم 13 آذار (أغسطس) 1956 ودخلت حيّز التنفيذ يوم 1 كانون الثاني (يناير) 1957، أي أنّها سبقت دستور البلاد كلّ هذه المكتسبات التي حقّقتها مجلّة الأحوال الشخصية للمرأة، كان الطاهر الحدّاد قد دعا إليها في كتابه الحدث «امرأتنا في الشريعة والمجتمع» الذي ظهر سنة 1930 وأثار أكبر خصومة فكرية اجتماعية في تاريخ تونس الحديث، وتعرّض الحدّاد بسببه لأنواع شتّى من العقوبات والعذابات، ورُمي بالتكفير، واتّهم بالعمالة للمستعمر الفرنسي، وطالته الإهانات من كلّ الجهات، وتعرّض للضرب والتنكيل في شوارع مدينة تونس العتيقة حيث درس في جامع الزيتونة وتخرّج ومارس القضاء الشرعي وحيث كان يسكن قبل أن يشرده المتزمّتون. في «امرأتنا في الشريعة والمجتمع»، نادى الطاهر الحدّاد بالمساواة بين المرأة والرجل بما في ذلك الميراث، وهو ما لم تجرؤ عليه مجلة الأحوال الشخصية. ودعا إلى تعويض المحاكم الشرعية بمحاكم مدنية تحرّر قوانين الزواج والطلاق والحضانة والميراث من الأحكام الفقهية وإبدالها بأحكام وضعية تضمن للمرأة كرامتها، وتُخرجها من وضعية «الأنثى» إلى وضعية «المواطنة». من هنا كانت دعوة الحدّاد إلى إبطال تعدّد الزوجات وإلى المساواة التامة بين المرأة والرجل، وإلى اجتراح قوانين جديدة تنظّم العلاقة بينهما. صدمة التجديد والتحديث في تونس، تمّت مع ظهور كتاب «امرأتنا في الشريعة والمجتمع». لذا لم يجد بورقيبة من معارضة تذكر أمام تنفيذ المشروع التحرّري في مجلة الأحوال الشخصية، وهو الزعيم القوي المنتصر آنذاك. وكنت نشرتُ في 2012 كتاباً بحثيّاً بعنوان «المرأة والمشروع الحداثي في فكر الطاهر الحدّاد» اقتطف من مقدّمته هذه الفقرة وفاءً لروح الحدّاد العظيم: «سنة 1935، توفّي الطاهر الحدّاد وحيداً فقيراً مقهوراً، مظلوماً ظلماً لم يستطع جسده ولا نفسه تحمّله، ذهب الحدّاد في عزّ العمر، في السادسة والثلاثين من عمره وفي قلبه شيء من الحسرة وشيء من القهر وشيء من الحيرة، وكثير من الأسئلة والأمنيات كما جاء في «خواطره»، هو الذي وهب كلّ عمره القصير للنضال من أجل تونس، نضال سياسي نقابي فكري اجتماعي، لكنّه لم يفهم لمَ عامله مجتمعه وشعبه وحتى نخب ذلك الشعب بكلّ ذلك العنف والرفض والجحود، وبكلّ تلك الشراسة التي حرمته من العمل وجرّدته من شهادته العلمية الزّيتونية ومنعته من إجراء امتحانه في مدرسة الحقوق. عنف ورفض وجحود وشراسة اضطرّته إلى لزوم بيته وهجر مجالس الثقافة والحوار، وجعلته ينتبذ الناس ويعطي نفسه لوحدة وغربة قاتلتين مثل كثير من عظماء الإنسانية في التاريخ».

■ نقّاد كثيرون يعتبرون أنّ الرواية أصبحت فنّ العربية الأوّل. إلى أيّ حدّ يمكن تصديق ذلك؟

ـ يقول جورج لوكاش متحدّثاً عن سحر الرواية ووظائفها: «الرواية هي ملحمة عالم بلا آلهة». في قول لوكاش إشارة إلى أنّ الرواية بنت الملحمة، ومن هنا نعود إلى ما ذكرناه حين تحدّثنا عن «المغامرة المركّبة» تماماً كما في الملاحم. ولئن كان لوكاش يقصد كون الرواية هي ملحمة العصر الحديث أي عصر البورجوازيّة بالمفهوم الماركسي للكلمة، فإنّنا نحتفظ من كلامه بالمماثلة الدّالة بين الرواية والملحمة، يجمع بينهما القدرة الفائقة على التقاط اهتمام الجماهير الواسعة وسرعة الانتشار والرسوخ في الذاكرة الجمعية من ناحية، وبلتقيان من ناحية ثانية في ركوب الخيال واختلاق الأحداث ومحاولة السيطرة على الكون باللغة. وإذا ما كانت الرواية فنّاً جماهيرياً واسع الانتشار منذ القرن الثامن عشر لغاية اليوم، فإنّ ذلك يعود إلى قدرتها الفائقة على الانسراب إلى وعي الجمهور القارئ واستثارة رغباته القريبة والبعيدة، ومنحه زمناً آخر مختلفاً عن زمنه الواقعي الفيزيائي، ورميه في عالم جديد لم يعرفه قبل قراءة الرواية.

آمنة الرميلي: نشاطي الآن هو الرواية والبحث الأكاديمي، والأمر نافذة أطل منها أحياناً على حديقة سرية

يُضاف إلى كلّ هذا كون الرواية نَصّاً كثير النوافذ مترامي الأذرع التعبيريّة، نصّاً أخطبوطيّاً يمكنه أن يجذب إلى مركزه الخرافة والأسطورة والتاريخ والشعر والرسم والسينما والمسرح، وكل ما أمكن من فنون القول والتعبير. يمكن القول والحال هذه إنّ الرواية شكل سردي «إمبريالي» له من الإمكانيات ما يجعله سيّد الفنون كلّها!

ولا تخرج الرواية العربية عن هذا المشهد الفنّي العالمي الذي تهيمن فيه الرواية هيمنةً مطلقة لغاية اليوم، ولا ندري إلى متى ستبقى هذه الهيمنة المطلقة وإن بدأنا نستشرف بعض ملامح التغيّر في حضرة النظام العولمي وسيطرة وسائل التواصل الرقمي على اهتمام الجماهير وبناء نظامها الداخلي وعياً ولاوعياً.

■ مصطلح «الأدب النّسوي» لا يزال متداولاً. هل تعتقدين أنّ هناك رواية أو الأصحّ كتابة نسوية؟

ـ لنتّفق أوّلاً على وجود بعض الضبابية في الخطاب النقدي العربي حين نخوض في «الأدب النّسوي». ونرى أنّه من المفيد . للكتابة وللنّقد . أن نضبط الحدود المفهوميّة ونرسم مجالات استعمالها ونحن نتحدّث عن «الأدب النّسوي» كما جاء في السؤال.

في الأوساط النقدية التونسية، نكاد نتّفق تقريباً على أنّ المفهوم الأدقّ هو «الأدب النسائي» أو «كتابة المرأة». ونكتفي بسوْق سببين يقفان وراء هذا الضبط المفهومي عند المعتنين بشأن الكتابة في تونس: السبب الأوّل يتعلّق بالصّفة بحدّ ذاتها «النّسوي» و«النّسائي»، حيث يوجد نوع من الإجماع على أنّ «الأدب النّسوي» هو أدب تيمته الرئيسيّة المرأة ووضعيتها الاجتماعية والرمزية والنفسية وغيرها. أدب يتكلّم عن المرأة وعن معاناتها أو نجاحاتها، عن ظروفها الحافة التي تدفعها إلى النجاح أو تعرقلها، عن صورة المرأة في عين النظام الأبوي الذكوري. وهو أدب لا تكتبه المرأة فقط وإنّما يكتبه الرّجل أيضاً، وكم من القصص والروايات والأشعار والبحوث والدراسات كتبها رجال عن المرأة وعن قضاياها الخاصة والعامة. ومن هذه النّاحية، لا يمكن أن نقصد بـ«الأدب النّسوي» أدباً تكتبه المرأة وإنما هو أدب مكتوب عن المرأة بقطع النّظر عن جنس من كتبه. أمّا السبب الثاني الذي يقف وراء حذر الأوساط النقدية من مفهوم «النّسويّ»، فهو تلك «الواو» التي تحيل في بعض معانيها حين تحضر في صياغة مفهوم ما، إلى نوع من «التّهجين» أو «الحكم على» أو حتى «الإقصاء» المعنوي لأنّ الذاكرة تستدعي مع صفة «النّسوي» صفات تهجينية أو سلبية أخرى مثل «الحداثوي» و«الإسلاموي»..

من هنا يجدر بنا الاستقرار على مفهوم «الأدب النسائي» أو «كتابة المرأة» في دلالة على نصّ كتبته امرأة، وخطّته ذات أنثويّة تنظر إلى الكون من زاوية مختلفة وتتدبّر اللغة بشكل مخصوص نابع من كونها امرأة، أي من كونها ذاتاً قادرة على تصريف اللغة تصريفاً مختلفاً عن تصريف الرجل إياها من دون أن يكون ذلك مدعاة إلى المفاضلة ولا إلى القرائيبية، فقد درجة الإبداع هي التي تفاضل وترتّب. إنّنا مطالبون النّظر عن جنس من كتبه. أمّا السبب الثاني الذي يقف وراء حذر الأوساط النقدية من مفهوم «الأدب النسائي» أو «كتابة المرأة» حتى نخرج من تلك القراءة القائمة على الحكم المسبق سواء عند القارئ الرجل أو عند القارئة المرأة حين يتعاملان مع نص الكاتبة المرأة بشبكة من الآراء الجاهزة كونها «كتابة أنثوية» لا تستمدّ خصائصها من «ذات مبدعة» هي الكاتبة وإنّما من «ذات اجتماعية» هي المرأة، ليكون الحكم بذلك داخلاً في الجنْدر خارجاً من العلم!

■ كتبتِ قصائد أو الأصحّ نصوص للأغنية والأوبرا. هل تصنّفين نفسك شاعرةً أم هذه مجرّد تجربة في سياق مسيرتك كاتبةً؟

ـ أقرّ بأنّ الرواية هي التي أخذتني إلى الشعر. كان ذلك وأنا أكتب روايتي «الباقي». كنت في صدد بناء مشهد حبّ بين شخصيتين من شخصيات الرواية، فإذا بكلام الشخصية يدفق بالشعر باللهجة التونسية. يسأل إبراهيم حبيبته: «تقول نحبّك؟ أشّ معناها تقول نحبّك؟» لتتالى الجمل بلا توقّف: «تْفكّرْ فيّ؟ تحلمْ بيّ؟ تْخَلّي عِينِيْك في عينيّ؟ تِستَنّانِي؟ تِتْمنّانِي؟ تْدخّلْ بعْضك كيفْ تْرانِي؟ تْخلّي دْموعكْ بينْ يديّ؟ تْصُوي شمعة، تْرقص دمعة وانا مْعاكْ؟ هذي أشّ معناها نحبّك؟»... وولدت على لسان الشخصية قصيدة متكاملة التقطها الفنان التونسي صلاح مصباح حين قرأ الرواية واستأذنني في تلحينها وغنائها، وكان الأمر كذلك. ثم كان اللقاء مع السوبرانو التونسية صاحبة الصوت المدهش يسرا زكري والملحّن السيمفوني جلّول عبّاد. أنجزنا مجموعة من الأغاني الأوبرالية قدّمت في تونس وخارجها. ولعلّ أهمّ العروض هو عرض «أوبرا حشّاد» الذي قدّمته يسرا زكري على مسرح بودابست عام 2018 بدعوة من سفيرة تونس في المجر السيدة إلهام عمّار في مناسبة ذكرى الاستقلال، وكان عرضاً متميّزاً أمام سفراء العالم. وأقرّ أيضاً بأنّ كتابة الأوبرا قد استهوتني، خاصة بعد اللقاء بالباحث في علم الموسيقى سمير الفرجاني، وقد أنجزنا عملين أوبراليين، أحدهما باللهجة التونسية هو «خيل سالم»، والثاني بالفصحى حظينا فيه بالتعامل مع صوت الفنّانة اللبنانية العالمية جاهدة وهبة ويحمل عنوان «شهرزاد». وقد عُرض في سوسة ثم في مدينة الثقافة في العاصمة ولاقى نجاحاً كبيراً. اليوم عندي ديوان شعري غنائي باللهجة التونسية يحمل عنوان «نْحبّك يا إنت»، وأدعى إلى الملتقيات وحتى المهرجانات لأقرأ أشعاري وأنشر قصائدي على صفحات الفايسبوك فتلاقي نجاحاً واسعاً. مع ذلك، لا أعتبر نفسي شاعرة بالتوصيف المفاهيمي للكلمة، فتلك درجة عالية لا يستحقّها إلا الذين كرّسوا تجربتهم في الكتابة وكامل مسيرتهم الإبداعية للشعر في الدرجة الأولى، ولست من هؤلاء حقيقة. نشاطي الأوّل هو الرواية والبحث الأكاديمي، والشعر نافذة أطلّ منها على حديقة سرية بين الحين والآخر.

■ منذ العام 2011، تسهمين في الشّأن العام، هل تعتقدين أنّ ذلك مهمّة أساسية عند الكاتب؟

ـ إذا كان المقصود بالشأن العام هو الانخراط في قضايا البلد والخوض في مشاكله والالتزام بالدفاع عن الحقوق والحرّيات، فإنّ هذا الإسهام قد بدأ باكراً جدّاً مع الحركة الطلابية أساساً، والانتماء إلى الاتّحاد العام لطلبة تونس والمشاركة في نضالات الجامعة التونسية ضدّ القمع البوليسي والسياسي السائد آنذاك داخل الجامعة وخارجها. وكانت كتاباتي تعبيراً عن هذا الانتماء، ليس ناتجاً عمّا حقّقه الشعب التونسي سنة 2011 وإنّما عن الإرث السياسي المتعلق بالحكم في تونس، لا بورقيبة ولا بن علي، أعطيا فرصة للتداول على السلطة ولا لتجربة ديمقراطية سليمة في تونس. عشنا منذ 1956 إلى 2011 في نظام رئاسوي متوحّش يضع تحت كلكله كل السلطات، وهمّه سحق معارضيه والتنكيل بهم. ولولا قوّة المجتمع المدني في تونس بقيادة الاتحاد العام التونسي للشغل، لما كانت انتفاضات 78 و84 و2008 و2011. والفشل يُعزا طبلة هذه العشرية إلى عقليّة الحكم الموروثة في تونس عن النظام السابق، مع فارق أنّ حكّام اليوم يدّعون الديمقراطية في العلن ويغتالون معارضيهم في السرّ. ولكن تونس الجديدة آتية لا محالة، تونس المساواة والحريات والعدالة والثقافة ولن تتأخّر. نضيف أنّ تونس مدينة لمجتمعها المدني بما تحقّق فيها من حقوق وحريات وما يتحقّق اليوم وما سيتحقّق.

> **لولا مشروع الطاهر الحدّاد التحرّري، لما استطاع بورقيبة أن يفعل ما فعله**

■ المعركة في تونس ضد أخوّنة البلاد متواصلة. كيف تقرئين 25 تموز (يوم أعلن الرئيس التونسي قيس سعيد تجميد عمل البرلمان وإقالة رئيس الحكومة)؟

تنظيم الإخوان المسلمين كان تنظيماً سياسياً منذ ظهوره في مصر سنة 1928 كما تقرّ بذلك أدبياتهم التأسيسية. تنظيم همّه السلطة الشمولية التي لن تتحقّق إلا عن طريق تحريك الوازع الديني وإثارة المخاوف العقائدية لدى البسطاء. ولم يكن حزب «النهضة» الذي حكم تونس منذ 2011 لغاية 25 تموز (يوليو) 2021 في منأى عن هذا المفهوم للسلطة. منذ وصوله إلى الحكم، عملوا على ما يسمّونه بـ«التّمكين». أداتهم في ذلك التسرّب إلى كلّ مؤسسات الدولة، كبرى وصغرى، بوضع أتباعهم على رؤوس الإدارات والوزارات والولايات والمعتمديات. وفي سبيل تحقيق هذا «التمكين»، عطّلوا كلّ ما من شأنه ألا يخدم مصلحتهم وسقطوا في التحالفات المشبوهة مع لوبيات الفساد ومراكز النفوذ المالي داخل البلاد وخارجها كما جاء في تقارير دائرة الحسابات. ودخلوا في تجاذبات قوية مع رئيس الجمهورية، بخاصة من قبل أغلبيتهم في البرلمان، فتعطّلت دواليب الدولة وانهار اقتصاد البلد وتفاقمت أرقام البطالة مع ما حصل بسبب وباء كورونا حتى باتت البلاد على شفا الانهيار التام. فكانت الحركة التصحيحة التي قادها الشباب التونسي الذي نزل إلى الشوارع يوم 25 تموز والتقط قيس سعيد في ما يبدو الإشارة، فكانت قرارات 25 جويلية التي استقبلها الشعب التونسي بفرحة غامرة، ونزل إلى الشوارع احتفاء بتجميد برلمان لم نر منه إلا ما يخجل ويحبط. نرجو أن يكون قيس سعيد في مستوى انتظارات الشعب التونسي، وأن تكون تونس قد دخلت مرحلة جديدة تبعدنا قدر الإمكان عن رداءات العشر سنوات التي مضت، بما فيها من جرائم الاغتيالات وسرقات المال العام وهبوط مستوى السياسيين وخاصة «نواب الشعب».

شعر

صفصاف متعرِّج

قصائد من الشعر الاسباني الجديد: 1980-2000

نادراً ما نجد ترجماتٍ عربيةً متكاملة عن الشعر الإسباني المعاصر، باستثناء الترجمات المتعدّدة لشعراء معروفين مثل لوركا وألبرتي وماتشادو. ولكن نقل جديد مختلف لأسماء شعرية معاصرة وبمنتخبات شاملة ولأكثر من صوتٍ شعري، تكاد المكتبة العربية تفتقر له. من المعروف أنّ الشعر الإسباني المعاصر لم ينتشر ويخرج عالمياً سوى في السنوات العشرين الماضية. وبالأخص بعد انتهاء حكم فرانكو، وأسبابه عديدة لا مجال لذكرها غير أنني ملزمٌ بالتأكيد على المناخ الثقافي الجديد وفُرص الإطلاع على نموذج الآداب العالمية الأخرى. وهي الفرص التي ساعدت على شيوع التجديد والتجريب في الأدب الإسباني، وإن جاء متأخراً عن الآداب الأوروبية. والمتوسطية على وجه الخصوص. المتتبع لحركة الشعر الإسباني المعاصر يلمس تنوعاً تجريبياً وتداخلاً ضمنياً بين الأساليب والرؤى الشعرية وطرق نقلها وتفصيلها. حتى إن الجيل الأدبي الواحد (أو ما يصنف على هذا الأساس) يرتبط بتنوع الأصوات واختلافها بالتجربة الشخصية والإطلاع والتأثر سواءً الداخلي أو الخارجي.

نلاحظ كذلك بأن أغلب الشعراء الإسبان، كانت تحدوهم رغبة للّحاق والمواصلة على الأقل مع النموذج القريب. ونعني به الشعر الأميركي اللاتيني (لغوياً على الأقل. الإسبانية كمحدّد مشترك). وكذلك محاولة التفرد والتميّز عن النموذج الأوروبي الآخر (تواجداً جغرافياً). الذي شكّل بتنوّعه ونماذجه الرئيسية بوتقة جذبٍ تقليدي أحياناً. ومتابعة وتداخلٌ تام في أحيان أخرى. من هنا نرى أنّ الشعر الإسباني المعاصر (ما بعد الحربِ الأهلية الإسبانية) قد مثّل بقدرٍ وآخر التجربة الإسبانية العريقة ابتداءً بنماذج شعراء القرن الوسيط حتى موجات الحداثة في القرن التاسع عشر، من دون أن يلغوا كثيراً مسألة التداخل والتجريب والمعاينة مع النموذج الشعري العالمي. وهكذا في انتقاء نماذج تامة منذ الأربعينات إلى اليوم، ستجعلنا نقرأ مختلف المدارس والأساليب من الرومانتيكي حتى السوريالي إلى آخر موجات التجريب. رجوعاً إلى شعر الحياة أو اليومي كما يُطلق على آخر نماذجه الشعرية. بشهادة أوكتافيو باث نفسه.

نواصل هنا عبر هذه المنتخبات ترجمة ما يلحق هذه الأجيال. أي ما يطلق عليه بجيل الثمانينات حتى آخر الأسماء الشابة التي برزت قبل نهاية القرن العشرين. مما سيكون لنا بانوراما متكاملة لأهم الأصوات الشعرية التي كوّنت وما تزال خريطة الشّعرية المعاصرة في إسبانيا. حاولنا هنا، كما عليه في كتبنا المترجمة السابقة، أن نمنح للجغرافيّة الإسبانية حيّزها المتّسع. فانتقينا أكثر من صوتٍ يُكتب بلغة أخرى من لغات إسبانيا غير اللغة الرسمية. مثل شعراء كاتالونيا وغاليثيا والباسك.

ترجمة وتقديم **عبد الهادي سعدون**

1. آنا روسيتي: غرباء في الليل

عندما تشرَعُ نافذتك ليلاً
والذهب، يثقبُ ستارتها
يقتحم حضورك حجرتي
أنهض وأريد أن أفاجئك
أن ألمح قامتك تعبرُ
الكريستال، وقميصك الباهت
مرمياً على الكرسي.
حدقتي تتحجر على الدانتيلا
وقدماي، فوق البلاط، لا تتحسّسان
البرد.

ـ (قادش 1950، شاعرة وروائية، من كتبها: «هذيانات أبيروس» (1980)، «آلهة مظلمة» (1982)، «فهارس حامية» (1985).

2. لويس البرتو د كوينكا: حمورابي

الفتيات مثلك يضحكن
من لحية حمورابي ذاته.
«العينُ بالعينِ
والسّن بالسّن»
(ما دونه في بابل
قبل أربعة آلاف سنة)

الفتيات مثلك يجبنّ
عن الحبّ بالازدراء
و بالازدراء عن الحب،
ذلك ليزّعجن حمورابي.

ــ (مدريد 1950، من بين دواوينه: «الصندوق الفضي» (1985)، «حيوانات أليفة» (1995)، «عوالم و أيام» (1999).

3. خايمه سيلس: كريستال

الضوءُ يقطع رموشك
وبينما يدور حولها
تتعرّف على نفسك،
كما لو كنت صوتاً وحيداً.

حدقة مكرورةٌ تتفتّح
من قطرتها الزرقاء
حتى داخلها.

أسفل الكريستال
الضوء
ليس سوى نقطة.

ـ فالنسيا 1951، من أعماله: «إشارات إشارات» (1990)، «نشيد متأخر» (1999).

4. آندريس روبانيا: عودة

يدور غبار
لا يُمسك،
منظرُ شمس مكشوفة
أسفل الكثبان،
لا أثر للبحر الآن .

ـ جزر الكناري 1952، من كتبه: «حبر» (1981)، «الصخرة» (1984).

5. خوان مانويل بونيت: تحديق

أنظر لدكّان الريح الصّافية
عندما تصمت
إذ تتركك تستمع للسّنجاب
في خلوه الهوائيّ الرّقيق
ما بين أشجار الصّنوبر المتعالية.

ـ باريس 1953، من كتبه الشّعرية: «وطنٌ معتم» (1983)، «جولة الأيام» (1990).

6. اسبرانثا اورتيغا: مشجب منسي

مشجبٌ منسي
ومصباحٌ عتيق

الأطفال
الذين ودّعوا الحصان الأبيض
داركِ
المسنودة على هواء السّقف
تحتفظ بخرسها
حيث نما الحبّ الأمريّ
رقيقاً مثل غصنٍ مندهش
من الأشباح الظريفة المهملة.

دون شك
فقد انحنى الخريف على الدار
وغطّاه بظلال صفر.

ـ بالنثيا 1953، من كتبها: «يوم ما» (1988)، «انتقال» (1995)، «خيط وحيد» (1995).

7. خوان لامّيار: أشياء مألوفة

توجد وحسب أشياء مألوفة:
هي التي تحزّنا من الموت،
هي التي تنشر أغطيتها بحزم
ما بين الواقع والخيال.
صروحُ إزاء الزّمن،
وفي مادتها الهزيلة تتغلّب
على سيراميك المحيرة الأزرق،
ريش عتيق، صناديق من البندقية،
وساعاتٌ ترفض الوقت.

هذا وحسب ما يوجد: الذي يرافقني
في السحر المغاير لهذه الغرفة.
كتب ورسائل، الموسيقى والصور
هذا ما يوجد وحسب: النافذة تتذبّذ.

ـ أشبيلية 1957، من كتبه: «جدار ضد الموت» (1982)، «المنظر الأزلي» (1992)، «دروس الزمن» (1998).

8. خوسيه خوليو كابانياس: زهرة زرقاء

حينذاك وصلتُ البحر
وبدا مثل زهرة زرقاء لا مثيل لها،
ذلك أنها تعيش حلمها
توبيجاتها تفتحت بين الأمواج
أقطفها... قال أحدهم.

فشربتُ من ذاك الماء وكان موجاً.

ـ غرناطة 1958، من كتبه: «خطوط» (1989)، «السماء تقريباً» (1999).

9. بلانكا أندريو: عطاء

أخبريني أيتها المياه، أيتها النار
الغاضبة، يا مطر الجحيم
فوق البحر الكبير تُقرع طبول الريح
العدوّة
وتنطرح كما النّواقيس
مثل السنةٍ حديديّةٍ في الحضيض.
أخبريني، أيتها الأثقال، أيتها
البضائع وزُرْم الأعشاب:
النزوج المضحّي بهم
كانوا عند الحافّة
ظلالاً مقصوصة،
ثياباً وحيوانات وأمراة.

ـ لاكورونيا 1959، من كتبها: «صبية المحافظات التي جاءت لتعيش عند شاغال» (1981)، «الحلم الغامض» (1994).

10. ألبارو بالبيرده: النور الممنوح

دهشة الإحاطة بمناظر محددة
شبيهة بدرجةٍ ما بالحلم.
لذا ذات مساء،
وأنت تتامل ساعة المغيب،
الجبال المطلة الشاهقة، هواء
النور الخيالي، المتضح
إذ لا قدرة للضباب على انكشافه.
وأنت في الجانب الآخر، وتجهل،
في الغرابة والشك
مغتربٌ يعود إلى الوطن
دون إعلانٍ مسبق.
هناك في شُرفك،
متابعاً مناظر الزمن، باحثاً عن
العلامات.
آنذاك وحسب تبتدئ الفهم
أنّ من يتذكّر ليس هو الذي لا علاقة
له
والذي يتوقف الآن،
وفي وسط يأسه يتعرّف على نفسه.

ـ بلاسنثيا 1959، من كتبه: «مكان للمديح» (1987)، «المياه المكيلة» (1989)، «المملكة الغامضة» (1999).

11. روجر وولف: الموسيقى

تغريد هذا البلبل
يسيح فوق جنّة المدينة الطّرية.
يقولون
أنّهم عثروا على السّرنجة
ما تزال معلّقةً بالذراع.
لا علم لي:
أو لا يهمني
كثيراً.
أستمع للبلبل
موسيقاه تصلني
في وسط الجحيم.

ـ وسترهام 1962، من كتبه: «الحديث مع أعمى عن الرسم» (1993)، «رسائل في قناني محطّمة» (1996).

12. أورورا لوكه: مشغل الحرير

حريرُ الرموش، حرير الفخذ
حريرُ قاني لسماء الفم
حرير الرقبة الأبيض الخبيء
قطعة من الظهر بشامات صغيرة
حرير الصرّة الخادرة،
بكرة صوف العانة، والحرير الذي
يبطنها
شبكة حرير الإبط
نسيج الشّفتين
الجلدُ كما الحرير
الكلمات حريريّة
الخيط بلا صنّارة الذّراعين،
جلدٌ من ليف مضغوط عمل الغزلة
دودة القزّ، حائك نقابة الخيّاطين في
المستقبل
الذي فكّ الحرير العتيق المتقطع
الحائل
وجامع الخرق الذي يمزّق ويفتق
الوصلات الأخيرة
الأسمال، كفن الحرير المقروض.

ـ ألمرية 1962، من كتبها: «معضلات الدويلاج» (1989)، «تاريخ الصلاحية» (1991)، «محطة الانتظار» (1998).

13. أماليا باو تيستا: امراة لوط

لا أحد وضّح لنا حتّى الآن
فيما لو كانت امراة لوط قد تحوّلت
إلى تمثال من ملح كعقاب لفضولها
الذي لا يكبح
ولعصيانها فحسب
أو أنّها قد عادت أدراجها
ذلك أنّها منتصف كلّ ذاك الحريق
البخاري
قد اشتعل قلب معشوقها الذي
تركته هناك.

ـ مدريد 1962، من كتبها: «سجن الحب» (1988)، «امرأة لوط وقصائد أخرى» (1995).

14. آنخيلا بالبي: غناء تحت القمر

لا يوجد في العالم فضاءٌ رحب
أفكاري بالكاد تعثر عن مأوى
ما بين السماء والبوصلة
أو ما يشير لي بهذا الفراغ
العابث
المستهلك
الذي
مشط للفجر
لونه.

ـ ثيوداد ريال 1964، شاعرة وروائية، من كتبها: «قبطان الضباب» (1990)، «حجم العالم» (1998).

15. آدا سالاس: ابيات منفرطة

يسيلُ،
الصمت وحسب.
بلا عزاء.

*

مثلما يخيّم الليل
العظيم.
الصموت.

هاتان العينان، تلمعان وحسب
إذ ستكشفان ما يرى.

*

لن يكون للسلام من موضع.
لقد قبّلت عيناي
عريك المهلك.

*

جسدٌ
مقابل جوعك
يعتمّ على صمتك.

*

أجيءُ من الهواء الوديع.
إذ رأيت الساعة البيضاء
عندما يختلط كل شيء
وتشتعلُ العتمة بحرائقها
والوضوء
ببحيراته.
قلعة أكون.
لا أحد يخيطُ شفتي.

*

امنحْ فمي قبلة
يبتهلُ
صمتك وصمتي.

ـ كاثريس 1965، من كتبها: «فن وذاكرة البري» (1987)، «متفرقات على بياض» (1994)، «العطش» (1997).

16. بلايو فوّيو: الحلزون

تخمين البراءة هي مثل إرجاع
الحلزون
للبحر الذي صمت في جحره،
أو أن تستمع في صدر المرأة التي
تحب
لأصوات هذا الطفل الذي يُغرق
الذكرى.

ـ خيخون 1967، من كتبه: «ذاكرة المرآة» (1990)، «تهكّمات المخبر» (1994).

17. انريكه غارثيا مايكث: تعريف شخصي

ولدت في مدينة مورسية ولكني من
ميناء سانتا ماريا.
عام ولادتي هو 1969، ولهذا يبدو
لي 1968 عاماً ما قبل التاريخ.
وإن كانت جيدة عائلتي، أفضل أن
أقول أنّني من عائلة جيدة.
أمي كانت سيئة، سيئة جداً،
وتعافت فجأة.
أمّا عن مسألة أن أصبح طفلاً نابغة،
فقد توقفت في المنتصف:
كنت طفلاً وحسب.
في المدرسة حزت دقائق مجدي
الخمسة.
أصدقائي آنذاك هم أصدقاء اليوم،
أصدقائي.
تخطّيت مراهقة رومانسية، لا أريد
أن أقول إنني ضد الرومانسيين،
بل نعم ضد مراهقتي.
في تلك الأيام عشقت امراة حياتي،
التي تعرفت بها منذ وقت قصير.
ولأنني يعجبني الأدب الذي يسعى
لجعل الناس أفضل،
لذا اخترت دراسة الحقوق.
خلال بعض الوقت، ليس معناه
أنّني فقدت الزمن، بل لأنّني ضعت
عن الزمن.
بعدها سافرت إلى لندن لدراسة
المقارن: تصوّروا وحشاً مُعادٍ
للإنكليز يدرس الإنكليزية.
اليوم لا أمضي إلى أيّ مكانٍ لأنني
أقضي حياتي كأيّ معارض.
وعندما أكتب، لا أكتب كي أصبح
غنياً،
بل أسعى لأحافظ على كوني أنريكه،
أسعى لا غير.

ـ موريسية 1969، من كتبه: «بطاقة هوية» (1996)، «الهاوية» (2000).

18. آندريس نيومان: زرع الأشجار

تعلّمت من جدّي زرع الأشجار،
الصّفصاف يحتاج لمياهٍ غزيرة
أندريس، أنت وأنا
وكذلك الصفصاف،
لا يجب علينا، في البدء، أن نعمّق
جذورنا،
بعض الأحيان ننمو بسرعةٍ عجيبة
أحياناً أخرى نرغب الجمود في
الأرض،
مخافة الريح.
اليوم لم يعد هناك جدّي ولا بلدتي
ولا بالطبع ذلك الطفل،
بقي فحسب شجر الصّفصاف
المتعرّج
الذي يقول لي: إنه آندريس، يجب
علينا الاعتناء بها
هذه الجذور الهشّة
هذا الخوف على امتداد الحياة.

ـ بوينس آيرس 1977، من كتبه: «أغراض الليل» (1998)، «لاعب البليارد» (2000).

نص

المتاهة

هدى الهرمي *

إتخليداً لروح الفقيد مالك الصغيري، المثقّف والمناضل التّونسي الذي غادر في أوج العمر والعطاء.]

لا يعرف حتى الآن كم مرّ من الوقت وهو يسلك الممرّات، وقطرات العرق الفائح تنسلّ من جلده وتغطي وجهه لتلسع عينيه وتشتّت نظره. لم يميّز الوجوه المحشورة في الشوارع، وخُيّل إليه أنّه رآها من قبل تحت نصب الحريّة المشهور وسط المدينة. طوّقته الأزقّة الملفوفة بين البنايات كمن يخطو دون وجهةٍ في مكانٍ غير آمن. كانت الشمس الغاشمة تغلّف رأسه، وتزيد من حدّة توتره. اصطدم بإحدى الكراسي الخشبيّة المصفوفة أمام مقهى صغير، تعثّر في خطواته، ثمّ انسلّ إلى الجهة المقابلة بوجهٍ متبرّم، تبعه صوت فرامل لسيّارة كادت تدهسه للحظة.

تلفت شزراً إلى سائقها لينهال عليه بالشّتم وهو يمعن في الهروب، وإن كانت عيناه تجولان في الطريق دون أن يدرك أين يختفي عن الأنظار.

غلبت عليه صورة صاحبه مالك. كائنٌ ساحر، يقفز فجأةً في المياه تجاهه ويقوده إلى ضفّة القنال، مجازفاً بنفسه لإنقاذه. مدّ ذراعه إليه ثمّ طوّقه، ليجرّه بكل ما أوتي من رباطة

جاش إلى أن تتهالك قواه ويغرق. أمّا هو، فقد توثّب رغبات منتصف الموت فوق حجرٍ منتصب في الضفة، قبل أن يبتلع المياه الجوفيّة وينزلق إلى قاع سحيق.

بقي شبه مذهول غير قادر على تحريك رجليه الرخوتين. ولعلّه كان غائباً عن الوعي، وحواسه تتصادم مع الجزع في انتظار خروج صاحبه خلفه. لم يشعر بأي شيء سوى هول المشهد أمامه حين استدار لمعرفة مصيره. لقد كفّ مالك عن محاولاته اليائسة بعدما أرهقته تيارات الماء القويّة وجرفته بعيداً. لماذا جاء عنده اللّحظة ولحق به؟ أيّ مصرع هذا انطفأ فيه العالم، ليخوض رحلة النضال إلى آخر رمقٍ، وجبهته الشامخة ترتطم بسكينة أبديّة، وجسده متوغّل في مسالك الماء بإجلال وسلام.

لا شيء عابثٌ سوى القدر، يُغيّب الموت رفيق دربه، حين يشعر بالخطر المحدق به، فيأخذ مكانه في عمق القنال، فيحوم حوله الموت مرتين، فلا يجاريه إلّا وهو أمام نعشٍ يلتصق به حتّى التوحّد ويستغرق في بكاء هيستيري.

لا أحد يعرف ما كان يهرب منه، أو ما يمكن أن يفعله. كان النهار يخفي عتمة روحه وراكمته الفظيعة، بعد أن ترك وراءه المكان الذي قدم منه، ودفن قلبه بجوار صاحبه.

قضى النزع الأخير من الليل وهو يهيم من منطقةٍ إلى أخرى، ثمّ توقّف في محطةٍ مهجورة. سار قليلاً حتى انخرط بخطواته بين السكك الحديديّة الملتوية وهو منهك القوى. لفّته غشاوةٌ باردة، لكنّه تماسك وجلس ببطء على السّكة وهو يُحدّق في العراء بعيداً عن كل شيء.

أخيراً قبع وسط الظلام. لم يغمض عينيه طوال الليل، وشُرّد في الخواء، لكنّه أحسّ بشيءٍ غير مرئيّ يتبعه. يجب أن يظلّ يقظاً. هكذا خمّن. لا يوجد كائن حيّ برفقته، فقط رائحة الموت تملأ رئتيه.

أخذ نفساً عميقاً ثمّ فرك جفنيه، واستمرّ في معاقرة المتاهة، لكن جسده الضعيف تداعى وسقط كأنّه لن يستيقظ أبداً، أمّا روحه المتألمة فقد جثمت فوقه ثمّ اعتمرت عند قدميه لتسحله إلى جوقةٍ بالجوار.

* تونس

قصة

الكلب ريكو

وداد طه *

من يعرف الكلب ريكو يعرف أنّه كلبٌ مجنونٌ تماماً. عاش في الحيّ طويلاً، لكنّه ظلّ ينبح على ساكنيه في رواحهم وغدوّهم، كبيرهم وصغيرهم، بالأمس عضّ ابن دلال صاحبة الدّكان فيما كان يوصل علبة السّجائر إلى بيت العم سليم «كليك عض أمّي... حلفت بسنّها الذهب لتقتلنّه» قال الصّبي وهو يغلق باب البيت ويركض كأنّه رأى شبحاً.

يدخّن العم سليم سيجارته، يلتذّ أو يغيب جالساً تحت شجرة التّين الوارفة الظّلال التي تمتصّ سحب الدّخان، يدخل الكلب ريكو فيجده قد حضّر له طعامه وتركه على الأريكة الحمراء، واكتفى بالجلوس فوق إحدى الكراسي الخشبيّة الخمس التي باخ لونها، يدور حول الضحن الذي وضع فيه العم سليم ما تبقّى من وجبته، قليلاً من بخنة الفاصولياء الخالية من اللحم، وبعض الأرز بالشعيريّة الذي تغيّر طعمه ولونه إذ طهاه سليم من أربعة أيّام.

يتعارك ريكو مع كلاب الحيّ، يعوي بصوتٍ حاد، تتشاءم زوجة جاره العسكريّ وهي تنفض بذلة زوجها، تتمتم بسورة الفلق، وتغمض عينيها وهي تستعيذ بالله من الشيطان الرّجيم الذي يسكن روح ريكو كما تقول لزوجها: «إنّه ملعون، قلت لك ألطق عليه رصاصةً وأرحنا من شرّه». سيقصد زوجها بيت العم سليم بعد يومين، سيصبّ له العم سليم فنجان قهوة، سيهذي الرّجل بكلام عن الجيرة وحبّ النّاس للعمّ سليم ولأولاده، ويترحّم على زوجته ويسأل عن حال أولاده، سينظر إليه العم سليم وقد ارتدى بيجامة نومه، ويترك مكانه

أدوار ماني: بورتريه الكلب مينياي (زيت على قماش، حوالي 1879)

يهدوء، سيظنّ العسكريّ أنّ جاره ذهب ليحضر البوم الصّور، كما يفعل المسنون، لكنّه بعد أن لاحظ أنّه يطالع ساعته منذ ربع ساعة، يتحرّك باتجاه الباب، ويترك ريكو يحفّ برجله لاهثاً متوجّهاً إلى أريكته الحمراء وهو خارج.

لا يعرف العم سليم أين يكون ريكو حين يخرج من البيت صباحاً، وهو لا يكترث، لطالما قال لمن يتشكّى من عوائه «ليس كلبي... بتقوصوه بتسمموه بتشووه ما بخلّيني». ولكن ما إن يخطو عتبة الباب حين عودته حتّى يأتي الكلب يحمحم ويشمشم ويجلس على الأريكة ريثما يخلع معطفه ويعلّقه، وفي الأيّام التي لا يكون لدى سليم أيّ طعام يكتفي ريكو بنظرةٍ طويلةٍ نحوه، ثمّ يقصد الأريكة، يكوّر رأسه فوق رجليه ويغطّ في النّوم.

يتناقل الجيران قصصاً عن علاقة ريكو والعم سليم، منها أنّه وجده وهو عائد من عمله وجاء به وقد أصابته رصاصة في إحدى ساقيه، فعالجه، ومن يومها والرّجل متعلّق به كأنّه خامس أولاده، ومن تلك القصص أنّ ريكو أخذ اسمه من اسم أحد أولاد الرّجل، كان اسمه زكريّا، ووصل ببعضهم القول إنّ ريكو جاء به مَلَك من السّماء «وصل رجل غريب في ليلةٍ ماطرة، رجل وجهه من نور، دقّ الجرس، وحين وصل سليم العتبة وجد قماشاً كاكيّ اللون، لم يمسسه المطر، وريكو ملفوفٌ ينظر إليه بعينيه البنيتين». أمّا القصّة التي يحبّ الأولاد أن يصدّقوها فهي أنّ ريكو كان كلب العائلة المدلّل، وحين توفوا واحداً واحداً في الحرب، ظلّ يرعى المسنّ الذي ينكره لأنّه لا يودّ أن يتذكر الماضي.

يقف ريكو في زاوية الحيّ، يرفع ساقه ثمّ ينفض جسده النّحيل غير مكترثٍ بأحد، يمشي بوجهه المتهدّل وعينيه الغائرتين كأنّه تائه أو غائب، زوجة العسكريّ تلعنه من شرفتها وهي تردّ السّتارة في ذلك اليوم الذي احتدّت شمسه رغم البرد، يسمع صوت التلفزيون في بيت العم سليم، يهرول بقدر ما تسمح له مشيته العجوز، نشرة أخبار السّاعة الواحدة تصدح، البوابة مفتوحة، الكراسي القشّ الخمس الصّغيرة في أماكنها، صحن الطّعام على الأريكة الحمراء فارغ، معطف العم سليم غير معلّق فهو لم يخلعه بعد جولته، جلس وأشعل سيجارة، شجرة التوت تمتصّ دخانها الأبيض. العم سليم جالسٌ فوق الأريكة الحمراء، ريكو ينظر نحوه، يلعق رجله ويقعي على ساقيه وحين لا يتحرّك، يجلس بجانبه، يطأطئ رأسه، وقبل أن يكوّره يعوي لمرّة أخيرة.

* صيدا/ فلسطين

شعر

عقل العويط: بيروت لا تريد أن تموت... يا إليوت!

محمد ناصر الدين

بالنّفي، يبدأ الشاعر عقل العويط كتابه «أب آسى الشهور يُشعل اللّيلك في الأرض الخراب» (دار نلسن، رسوم داخلية للفنان حسن جوني، 2021) في الذكرى الأولى لانفجار الرابع من آب. نفيٌ يحمل صفة الرفض وكتابة نصّ فوق النص، والخطاب موجّه إلى ت. س إليوت في قصيدته «الأرض الخراب»، إذ يدخل العويط من مقدمة كتابه إلى فضاء إليوت بصيغة اعتراضية: «النفيُ هو اليقين الوحيد، ونيسان ليس أقسى الشهور. ليس صحيحاً أنّ وجع بيروت اكتمل، مثلما يكتمل قمرٌ في قبغ آب. يكتمل وجع الكوكب في منتصف الليل، على منوال الوجع الذّي يعتري الذهب في منتصف قلبه. كان ينبغي للبياب الذي يوجع اليابسة ومن عليها، أن يتراءى لك، بعد مئة عام، في مكان من هذا الكوكب يُدعى بيروت، لكن الرؤى لا يكتمل خرابها، ولا الأوجاع تكتمل، وإن ظنّ اكتملت ذات يوم وفي ذات لحظة. ما يدركه الشعر ليس هو الشعر كاملاً». لفهم هذا التّضاد، لا بدّ من استحضار المقطع الشهير في قصيدة إليوت (1922): «أبريلُ أقسى الشهور/ يُنبتُ الليلك من الأرض المَيْتة/ ويمزجُ الذاكرة بالرغبة/ ويوقظ الجذور الخاملة بمطر الربيع». قساوة أبريل إذن هي «قساوة الإزدراء» كما يقول الناقد الفرنسي كريسوفر بويكس. فعلى الرغم من معاناة العصر بعد الحرب الأولى، كان أبريل لا يزال يحتفظ ببريقه كزمن أخضر بين حيّ وميت، ولا يمكن تمييزه كازدراء افتراضي: حمل آب فعل القتل البريري الفظّ، قتلٌ بنيترات الأمونيوم، والإزدراء المباشر والواضح لمدينة بأكملها، بروحها وإنسانها وبحرها وبرّها وشجرها وهوائها، وهو ما يقوله العويط في بداية النص: «لم نحظ من الشهور إلا بالحرائق، ولا من الحكام إلا بالحثالة، ولا من الأنهر إلا بالذفق من المراحيض، ولا من البحار إلا بالجيف مناظر حتى الطوفان... بودّي أن نتجالس على مرمى أكوام الألومنيوم والتنك، وأن نكون صحبة ما تبقى من نيترات الأمونيوم، هل سمعتَ يوماً بنيترات الأمونيوم يا سيد إليوت؟». قسّم العويط بنية النص على إيقاع حركات إليوت الخمس، واحتلت الحركة الأولى «أرضنا الخراب» القسم الأكبر منه. كان إليوت قد أعطى بعض الدّلائل على الخلفية الأسطورية للقصيدة، حيث تتقاطع التلميحات إلى الملك أرثر وتريستان وايسولت وأسطورة الكأس الذهبية والأساطير التي سجلها جيمس فريزر في كتابه العظيم «الغصن الذهبي»، فأي أسطورة تحملها بيروت؟

أسطورة بيروت هي في الحب، كما يقول العويط في الحركة الأولى، في «النساء اللواتي يفهمن الجوهر، ويسربلن الشعراء بالشعر، اللواتي لم يتركن شاعراً إلا صريع قصائده المترنحة»، وبيروت هي من «المدن التي تهوى مؤازرة الهاوية لكي لا تقع، على مثال الحوريات يتركنَ عريهنّ في النهر، ويلتحقن بالعشاق والسكارى»: خلقت بيروت الحداثة إذن بسربلة الشعراء بالشعر، وخروج الحوريات من نهر التراث والأسطورة لصناعة المدينة، دخلت بيروت الحداثة شعراً كما يقول عباس بيضون بدون أسطورة، لا أسطورة اللغة ولا التاريخ ولا الغصن الذهبي ولا الفلسفة ولا أسطورة الشعر نفسه. وتجرأت على أن تكلّم مدينة «العشاق والسكارى» بدون وسيط فولكوري أو ترميزي.

في الحركة الثانية من نص العويط بعنوان «عمود من نار»، يشبّه الشاعر بيروت بـ «الزيتونة التي ترشح زيتاً كي ترشد الأيقونة إلى صلاتها». وهنا معارضة أخرى لإليوت: الأرض الباب هي اللغة المدمرة أيضاً، التي تعجز أي اتصال أو «مناولة». يزحف الدمار على بيروت، فيصير عدواناً على قاموسها من جبل وشمس وطير وقمر وبحر، يصير عدواناً على اللغة ذاتها وتفتيتاً لرموزها: «كعمود من نار/ تضيئين أمام سفن ضاعت في البحر/ كصرخة/ تذكّرين الجبال/ بأنها نسيت أن تكون جبالاً/ لا يكلّمك أحد/ وأنت لا تتكلّمين/ تكتفين بعينيك الناظرتين كملاك/ وتلتفين برموزك/ كأنك حديقة/ تنوب عنها العطور والحاسيس/ زهرة ترجّف الهواء/ في مثل هذا الوقت/ زهرة كنجمة هالكة في سماء/ ها هي شمسك تتهاوى/ على سطح غيمة/ ها هو قمرك/ يخجل من كونه قمراً/ لأنه يجهل معنى البكاء/ يضنيك أنك لا تعثرين على نبع لتشربي/ يضني النبع أنه لا يعثر على شفتيك ليلثمك». لكن الشاعر يختم حركته الثانية برمزية الزيتونة وما تكتنزه في الآية القرآنية «شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ)، بيروت نور النور في اللغة والإيمان والحب، ينبثق من قلب الألم، من حجر بريض على دمعة: «ثوبك مؤلم/ كسروةٍ/ ترتجف في الحرّ/ إذا كنت تنصتين إلى أغنية/ فاعرفي أنّ ما من أحد/ يزيح حجراً عن دمعة/ لتفرّ من وحشتها/ كزيتونة/ يرشح زيتها/ لترشدي أيقونة إلى صلاتها».

في الحركة الثالثة بعنوان «أسرار»، لا يبدو الموتى في انفجار بيروت مثل موتى إليوت، الذين وصفهم الشاعر برنار نويل بأنّ لهم «أصواتاً تتكلم متقاطعة، لكن تبدو هذي الأصوات زائدة عن نفسها كأصوات أولئك الذين غرقوا في الوقت المناسب. إنهم لا يسجلون الوجود بل حفيف المحو. هم يتحدثون إلينا عن مكان داخل كل تلك المصادفة ستقود طالب الفلسفة الإيطالي إلى «جحيم» هذا الكاتب بما يشبه اللعنة الأبدية، متتبّعاً آثاره بما فيها القصاصات المهملة.

في كتاب «الحنين إلى الممكن/ قراءات حول بيسوا» الذي نقله إلى العربية نزار أغري «دار نينوى»، سنتعرّف عن كثب إلى بيسوا بأسمائه المختلفة، ذلك أن صاحب «بيريرا يدّعي»، و«تريستانو يحتضر»، لم يكتفِ بتوثيق نصوص ويوميات هذا الشاعر الفذّ، وإنما أنجز قراءاتٍ مهمة عن كل ما يتعلّق بسيرته وأفكاره وفلسفته، كما لو أنه بائعُ جوّال لبضاعة نفيسة. يشتمل الكتاب على ثلاث محاضرات، كان تابوكي قد ألقاها في المعهد العالي للدراسات الاجتماعية في باريس عام 1994. يشير المترجم في مقدمته إلى أنّ تابوكي في محاضراته هذه، يبيّن هوس بيسوا بالعلاقة التي تربط الإنسان بالزمن وذلك «الإنشداد النوستالجي ليس لما مضى وانصرم وحسب، بل لما هو مائل في اللّحظة الحاضرة أيضاً. فالحاضر ليس سوى ماضٍ مؤجل. ومسألة الحنين لديه لا تكمن في البحث عن الزمن الماضي بل

أسطورة بيروت هي في الحب، كما يقول العويط في الحركة الأولى

دراسة

أنطونيو تابوكي يقتفي أثر بيسوا وشركاه

خليك صوبلر

لو لم يكن أنطونيو تابوكي (1943-2012) روائياً معروفاً اليوم، سنتخيّل أن الحكاية التي رواها عن كيفية اكتشافه فرناندو بيسوا (1888- 1935)، واحدة من الغاز الكاتب البرتغالي الذي وقّع نصوصه بنحو 70 اسماً، قبل أن يكتفي بثلاثةٍ منها فقط. كان أنطونيو تابوكي يدرس الفلسفة في باريس (1964)، حين وقعت عيناه على نصّ بعنوان «دكّان التبغ» لكاتب برتغالي مجهول اسمه فرناندو بيسوا (1888 ـ 1935). تلك المصادفة ستقود طالب الفلسفة الإيطالي إلى «جحيم» هذا الكاتب بما يشبه اللعنة الأبدية، متتبّعاً آثاره بما فيها القصاصات المهملة.

في كتاب «الحنين إلى الممكن/ قراءات حول بيسوا» الذي نقله إلى العربية نزار أغري «دار نينوى»، سنتعرّف عن كثب إلى بيسوا بأسمائه المختلفة، ذلك أن صاحب «بيريرا يدّعي»، و«تريستانو يحتضر»، لم يكتفِ بتوثيق نصوص ويوميات هذا الشاعر الفذّ، وإنما أنجز قراءاتٍ مهمة عن كل ما يتعلّق بسيرته وأفكاره وفلسفته، كما لو أنه بائعُ جوّال لبضاعة نفيسة. يشتمل الكتاب على ثلاث محاضرات، كان تابوكي قد ألقاها في المعهد العالي للدراسات الاجتماعية في باريس عام 1994. يشير المترجم في مقدمته إلى أنّ تابوكي في محاضراته هذه، يبيّن هوس بيسوا بالعلاقة التي تربط الإنسان بالزمن وذلك «الإنشداد النوستالجي ليس لما مضى وانصرم وحسب، بل لما هو مائل في اللّحظة الحاضرة أيضاً. فالحاضر ليس سوى ماضٍ مؤجل. ومسألة الحنين لديه لا تكمن في البحث عن الزمن الماضي بل عن الزمن الحاضر. إنّه حنينٌ ليس إلى ما كان، بل إلى ما كان يمكن أن يكون».

كان صاحب «كتاب اللاطمأنينة» شخصيةً غرائبيّةً ومتشظيّةً وضائعة بين الأمكنة والأزمنة «يعيش في اللحظة الراهنة واللحظات المنقضية في وقتٍ واحد، وكان يعيش حياته وحياة الآخرين في كلّ الأوقات» حتى أننا سنتساءل، أمام تعدّد الأسماء التي اخترعها أثناء حمّى الكتابة، من هو الواقعي ومن هو المتخيّل: فرناندو بيسوا أم ريكاردو ريس أم الفارو دي كامبوس أم البيرتو كايرو أم برناندو سواريس أم أنطونيو موراً؟». لا تشبه شخصية شخصيةً أخرى، فلكل واحدة منها سجّل نفوس مختلف لجهة الأشكال والطبائع وتاريخ الولادة، وتالياً ستنعكس على سلوكياتها في التخيّل. على الأرجح، فإن فرناندو بيسوا الأصلي أراد أن يتوارى بعيداً عن طيش أقرانه المتخيّلين، لتحقيق مزيد من العزلة والانطواء والآيقين: «اخترعت لهم أسماء، صنعت تاريخاً لكلّ واحدٍ منهم، ثم سرعان ما صرت أراهم واقفين أمامي بوجوههم وقاماتهم وملابسهم وحركاتهم. وهكذا فقد صار عندي الكثير من الأصدقاء الذين لم ألتقِ بهم قط، ولم يكن لهم وجودٌ على الإطلاق» يقول. يختزل أنطونيو تابوكي أسلوبيةَ بيسوا الشعرية بـ «الحذاقة الجمالية» التي يستمدها من جبل الطليعيّين، لكن بعد أن يضفي عليها «نوعاً من السّخرية التي تكاد تشبه اللعبة التنكرية» أو «إعادة تأثيم» لكل ما هو معاصر بالنسبة إليه. وفي النتيجة، فإنه يتمكّن من ابتكار نوع من أنثولوجيا صغيرة، وصولاً إلى «حنين شخصي مقتحم، وحنين افتراضي. ليس الحنين إلى الذي كان بل إلى الذي كان يمكن، والذي أسميته الحنين إلى الممكن». هكذا تتراكم الشكوك والانفجارات في نصوصه عن طريق الهدم بعبارة خاطفة أو إيماءة أو إشارة، وبتوصيف آخر «يشكّل، في نهاية المطاف، جزءاً من الأوركسترا، وهو يعزف السمفونية التي يطلبها منه عصره. لكن في الوقت الذي يتوقّع منه المرء أقل ما يمكن، فإن آلته الموسيقية تجترح نوتة (مجرد نوتة) تخلخل الحفل كله». لم يكن ما يجترحه بيسوا من أسماء، مجرد اختلافات في لفظ الاسم، إنما حيوات متراكمة ومتنافرة، تبعاً لتخيّلات اللحظة، وهيئة الشخصية التي خرجت من أحشائه، لتشتبك مع الآخر. ولادات وانشقاقات، وأوثان مزيّفة، تتراكم على هيئة «طفح جلدي»، فالشخصية التي تستعمل نظارة بعدسة واحدة لا تشبه شخصية مساعد محاسب في بلدية لشبونة، مصاب بالتهاب الطحال، أو الطليعي الذي سيتحوّل، مع الزمن، إلى عدميٍّ مطلق، فلكلٍ من هؤلاء تأملاته وأفكاره الشخصية التي تبزغ لحظة الجلوس وراء الآلة الكاتبة. يستدرك قائلاً: «الفارو دي كامبوس، وبرناندو سواريس، ليسا أنا بقدر ما أنّ هاملت والملك لير ليسا شكسبير. بكلام آخر، فإن مشاعر كامبوس وريس ليست مشاعر بيسوا مثلما أن مشاعر هاملت والملك لير ليست مشاعر شكسبير».

هناك إشارات بأن فرناندو بيسوا لا يمتلك شهادة سوق للسيارة، وفقاً لسجلات بلدية لشبونة، لكنه في قصائده سيمنح هذه المهمة لإحدى شخصياته المستعارة فيما تستعمل شخصية أخرى الحنتور أو الترام، أما هو فـ «يتأمل الشارع والعدم من النافذة» من دون أن يغادر كرسيّه في المقهى: «لقد تركت على جنب الأغراض الميكانيكية لألفارو دي كامبوس، وأردت أن أستخرج من غرفته المكتظة غرضاً هامشياً في قصيدة غير ميكانيكية، بل مائية، قصيدة لا تربطها سوى علاقة هامشية - أو لا شيء على الإطلاق - بالجسور الحديدية والمكاتب ولوحات فرناندو ليجيه والأناشيد المستقبلية». وبصيغة أخرى، يقول: «في كل ركن من أركان روحي، يقف مذبح لإلهٍ مختلف». فضيلة أنطونيو تابوكي إذاً، تتمثّل في إعادة اكتشاف عبقرية بيسوا بعد سنوات طويلة على موته، إذ توزّعت عشرات اللغات في العالم، نصوصه المجهولة، فيما غثر في صندوق خشبي - بعد رحيله - على أرشيفٍ كامل يضم 25 ألف مخطوطةٍ لم تكتمل، في الشعر والفلسفة والنقد واليوميات، وقد احتفظت مكتبة لشبونة الوطنية بهذه المخطوطات. على الأرجح، سيأتي يوماً ما، أنطونيو تابوكي آخر، لتحرير هذه الكنوز من وحدتها، معلناً عن انشطارات جديدة.

يصف أسلوبية بيسوا الشعرية بـ «الحذاقة الجمالية» التي يستمدها من جبل الطليعيين

قصة

الكوميديا البشريّة حسب جوزيبّه تومازي دي لامبيدوزا

سارة سليم

إذا كان دائني قد برع في كتابة «الكوميديا الإلهية» لتصبح نصّاً خالداً، فلا شكّ في أنّ الروائيّ الإيطاليّ جوزيبّه تومازي دي لامبيدوزا قد برعَ هو الآخر في صياغة سيرةٍ ذاتيّةٍ في نصوص أشبه ما تكون بالكوميديا البشريّة: نصوص لا يجد فيها القارئ الحقيقة كما تُكتب في السِّير، لكنّه يعثرُ فيها على أساطير تقول حقيقةً عجزَ الواقع عن التعبير عنها. لا يمكنُ أنْ تقرأ كتاب «القصص» الذي صدرت نسخته العربية عن «منشورات المتوسّط»، إلّا بفكرٍ متوقّد، كأنّك تبحثُ عن شيءٍ ضاعَ منكَ. فقوّةُ السّرد وحُضور التّاريخ برسّخان للنّصّ وجوده في ذاكرة قارئه، فنصوصُ كهذه تأخذكَ إلى قصصٍ يُمكن فيها للحادثة البسيطة، بسحرِ الأدب، وبسَطوة الخيال، أن تصبحَ نصّاً مُبهراً يجعل القارئ يتقاوض مع معانيه. إنّه نصٌّ يصعب الإمساك فيه بروح المَعْنى والقبض على بذرة الحياة، إذ زاوَجَ فيه لامبيدوزا بين الواقعيّة الحسّيّة و«التاريخ كملكيّة شخصيّة» على حدّ تعبير جواكينو لانتزا تومازي. انطلق جوزيبّه تومازي دي لامبيدوزا من الخاصّ ليتناول العامّ، في محاولةٍ لإسقاط الجدار الفاصل بين الواقع والخيال، ليُخلق عن طريق الخيال، فضاءه الرّحب الذي يُعيد فيه خلقَ مسارات جديدة لحياته كي يفهم أخطاءه وعُمقاته. يحضرنا هنا قول إيفان إيليتش: «وظيفة الأدب هي جعل النّاس يفهمون عُمقاتهم». يشعر قارئ «القصص» بأنّه يسير في شوارع إيطاليا تلك الفترة، يأكل قنافذ صقلية البحريّة، ويسترجع مع الرّاوي ذكرياته وكأنّها تخصّه هو. لقد حوّل الكاتب تدفّق الذاكرة بواسطة الخيال إلى نصوص ذات صلةٍ بالواقع، لكنّها أقرب ما تكون إلى الأسطورة. فدي لامبيدوزا من الكُتّاب الذين بإمكانهم استحضار الزّمان والمكان في ذهن المتلقّي بعمقٍ وبجسارة، من دون مماحكة، حتّى إنّه يرصد تحرّكات شُخوصه، اندفاعاتها، فلسفتها في الحياة وسُخريتها من كلّ شيء، هو يمتلك براعة التّصوير النّفسي لشُخوصه. يبدو ذلك جليّاً في قصّة «السّيرَانة» التي ترى مارغريت يورسنار أنّها «الأكثر صدقاً بين كل حكايا السّيَرانات في تاريخ الأدب». وشخصياً، أعتقد أنّ الأشياء الصّادقة لا يمكن إلّا أن تكون كذلك، حتى وإن كان فيها شيءٌ من الأسطورة، فالعمل الأدبي، مهما كان شكله، هو عبارة عن تصوّر موازٍ لحياة الإنسان، وليس لحياته كما هي، وإلّا فما قيمة الأدب في حياتنا؟ في هذا الصّدد، يقول سانت بوف: «إنّ العمل الأدبيّ ما هو إلّا نتاج أنا أخرى غير التي تظهر في عاداتنا ومجتمعنا وحياتنا». ففي قصّة «السّيرانة»، خلق لامبيدوزا تصوّراتٍ أخرى للحبّ، وللعلاقة التي قد تنشأ بين بشريّ ومَخلوق نصفه حيوانٌ ونصفه الآخر إله، مخترقاً بذلك مخيّلة القارئ التي اعتادت حتى في قصص السّيَرانات الخيال البحت الذي لا يمتّ بأيّ صلةٍ إلى الواقع. وهنا تبرز براعته كحكّاء يأخذنا إلى أقاصي الحلم ليحقّق إنسانيّة الإنسان، فبرزاً بذلك أهمّيّة الفكر الأسطوريّ الذي يراه النّاقد محمد الأمين بحري في كتابه «الأسطوري»: «إنّ الفكر الأسطوريّ خاصيّة بشريّة تاريخيّة لا يمكن أن تتحقّق إنسانيّة الإنسان من دونها في كلّ زمان ومكان». فحكاية البروفيسور لاتشورا والسّيرانة ليغبا (ابنة كاليبو إحدى إلهات الإلهام النّسع في الميثولوجيا الإغريقيّة) قصّة خالدة تصلح لأن تكون بحدّ ذاتها رواية عن الكوميديا البشريّة، ففيها تصويرٌ عميقٌ للوجود، للإنسان، للفقد، للحب، للعطاء الأمتناهي. كتب لامبيدوزا هذه القصّة، التي سكنته 50 عاماً، قبل أشهر قليلة من وفاته، كأنّه كتبها ليلتحقَ بالسّيرانة، هو الذي أراد أن يبحث فيها عن ماهية الحبّ والخسارة والتّأمّل في ما بعد الموت، التّأمّل في الموت حين يصبح مشروعاً لبداية لحلم لم يكتمل في الحياة. كتبها وهو يتطلّع إلى عالمٍ نورانيٍّ يجد فيه راحته. وربّما كانتْ هذه القصّة بالذّات هي قصّة الكاتب شخصيّاً مطعّمةً بالخيال، فالقارئ يشعر أنّ الكاتب كان يبحث بعد مرور تلك السّنوات عن نفسه. فهو بدأ الكتابة متأخّراً ممّا شكّل لديه تجربةً استثنائيّةً صقلتْها خبرة الحياة، وكذلك الموهبة التي تظهر واضحةً في خلق الخيال والأساطير للحديث عن إيطاليا، وعنه، من خلال شخصيّة البروفيسور التي تبدو للقارئ للوهلة الأولى، معقّدةً، ساخرة، لكنّها تحمل بداخلها كلّ معاني الوجود السّامية التي نأت عن حياة البشر العاديّين. يبحث عن حبٍّ يُريه الطّريق «نحو الرّاحة الأبديّة التي لا مِراء فيها، نحو الزّهد بالحياة لا من باب العزوف عنها ولكن من باب استحالة قبول ملذّاتٍ أخرى أدنى شأناً» على حدّ تعبير الرّاوي، إذ وجد البروفيسور في علاقته بالسّيرانة ما يبحث عنه. راح يقول إنه: «في تلك العناقات استمتعتُ بأسمى أشكال اللّذّة الرّوحيّة والبدائيّة معاً، اللّذّة المُجرّدة من أيّ صدى اجتماعيّ». أمّا قصّة «القطط العمياء»، فيمكن أن تكون هي الأخرى جُزءاً من رواية، لكنّ القدر شاء أن تبقى قصّة بروايات ونهايات مختلفة، متروكة بيد القارئ ليؤوّلها كيفما أراد.

أمّا ترجمة الشّاعر السّوري أمارجي لهذا العمل، فلا يمكن أن نطلق عليها مُسمّى «ترجمة»، لأنّها ببساطة تتجاوز الفعل التّرجميّ إلى مشروع بحثيٍّ قائم بذاته. مشروع لن تعثر فيه على معلومةٍ ناقصة، أو عبارة غير مفهومة، فترجماته مرآةٌ لحساسيّة الشّاعر الذي يتعامل مع النّصّ بشكلٍ مختلف، ولإبداع المُترجم الذي يبعث النّصّ بلغةٍ أخرى، من دون أن ينتزع منه هويّته. إنّ مهارات التّرجمة إبداعٌ ثانٍ يُضاهي جودة النّصّ الأصل ويتجاوزه إلى النّصّ الهدف ليخلقَ من التّرجمة نصّاً آخر يشبه في فكرته لوحة الموناليزا أين وُلّيت تنظر إليك، وهكذا هي ترجمة أمارجي، لا تخون الأصل بل تشبه اللّغة الهدف، وفي الوقت ذاته هي نصٌّ آخر لا يشبه إلّا لغة المترجم/ الشّاعر، البعيدة عن الكلمات المستهلكة والكليشيهات الجاهزة. يقول جواكينو لانتزا تومازي: «غالباً ما يجدُ الزّائر لقبر جوزيبّه تومازي دي لامبيدوزا أزهاراً وضعها قُرّاءٌ وجدوا في نصوصه فقرةً ما عقدتْ صُلحاً بينهم وبين الحياة». فهل سيعقد القارئ صُلحاً مع الحياة، رغم الحروب والأوبئة والكوارث الطّبيعيّة التي يشهدها عصرنا أم ستظلّ الكوميديا البشريّة تكرّر نفسها؟

قوّة السّرد وحُضور التّاريخ يرسّخان للنّصّ وجوده في ذاكرة القارئ

لمحات

مفلح العدوان

يضمّ «مرثيّة الوتر الخامس» (الدّار الأهلية للنشر) للكاتب والقاصّ مفلح العدوان، ثلاثة نصوص مسرحيّةٍ مونودرامية هي: «مرثيّة الوتر الخامس»، و«تغريبة ابن سيرين»، و«آدم وحيدا».

المسرحيّات الثّلاث قُدّمت خلال السّنوات الفائتة في العالم العربي، ونالت جوائز عدّة، وفيها يحاول المسرحي الأردني أن يختصر الزمن التاريخي في ثلاث ساعات، ويختصر البشر من خلال ثلاثة نماذج تاريخية مختلفة تمثّل بدورها المحبّة والحريّة والجمال هي زرياب، وابن سيرين وآدم.

كاملجان رحيموف

تتبع دراسة «جذور التّصوف في بلاد ما وراء النهر، ظهور تعاليم التصوف وترتيبها المنهجي في القرن (8ه – 11م)» (دار خطوط وظلال) لكاملجان رحيموف تاريخ التّصوف في آسيا الوسطى حتى القرن الثاني عشر م. يكشف الكتاب عن دور هذه الدّول في تطوّر التصوّف على يد الحكيم الترمذي في القرن التاسع ميلادي، ثم مع الكلاباذي البخاري والمستملي البخاري في أواخر القرنين العاشر والحادي عشر. إسهاماتٌ أساسية، أدّت إلى ظهور الطّرق الصوفية منذ القرن الثاني عشر في مختلف بلدان العالم الإسلامي وبلاد ما وراء النهر.

سعيد الغانمي

ينطلق «دعاة عصر السادات: كيف تمّت صناعة التشدّد في مصر» (دار العين للنشر) من فكرة أن أشهر الدعاة الجماهيريين في مصر منذ السبعينات حتى الآن، مرّوا بعضوية جماعة الإخوان المسلمين، واستمروا في التبشير بأفكارها حتى بعد خروجهم منها. يرصد وائل لطفي بدايات الأسلمة في المجتمع المصري خلال السبعينيات، والعلاقة بين الرئيس المصري أنور السادات وبين جماعة الإخوان. يستعيد الكاتب والصحافي المصري خطاب الأسلمة في تلك الفترة بقيادة دعاة أمثال الشعراوي وكشك والغزالي وإبراهيم عزت، والشيخ المحلاوي وآخرين.

هيتاكونانو لاخك

يعدّ «حكايات الأجداد - الحكايات الشعبية لسكان أميركا الأصليّين قبيلة اللّيناپيه» لهيتاكونانو لاخك فرصةً للتعرّف إلى الأساطير والحكايات الشعبية للسكان الأصليين من القبائل الينابية التي عاشت في الغابات الشّرقية لأميركا. الكتاب الذي انتقل إلى العربية أخيراً (دار المحروسة - ترجمة جنة عادل)، يتضمّن بعض الحكايات التراثية للسكان الأصليين، حول الغزو والمقاومة والتطهير، والمجازر التي مهّدت لاختفاء قبائل السكان الأصليين وتراثهم مع صعود الولايات المتحدة الأميركية.

ليلى أبو العلا

«الهدهد... إن حكى» (دار الساقي ـ ترجمة: عزّة حسون) أشبه بصورة روائية عميقة لثلاث نساء يبحثن عن الحريّة. تكتب الروائية السودانية ليلى أبو العلا عن حيوات سلمى المتزوّجة والمغتربة في بريطانيا، ومني التي اضطرّت إلى توصيف بعض مشتركات الفكر الديني، خصوصاً في الممارسة والشّعائر، وبعض الدوافع الأساسية مثل القلق الوجودي والخوف، وملامح الخطاب الديني، ووحدانية الألوهة وتعدّد تجلّياتها، والقربان، والفرق والطرهقات وغيرها من الممارسات التي تشكّل مدخلاً لتاريخ الديانات.

حسان سلامة سركيس

يحاول كتاب «مدخل إلى تاريخ الديانات» (دار كتب للنشر) لحسان سلامة سركيس أن يقدّم مقاربةً لبعض جوانب الظّاهرة الدينيّة، وتظهير بعض مفاهيمها الأساسية. ورغم التباين الظاهر في معتقدات الأديان، يسعى الأكاديمي والباحث اللبناني إلى توصيف بعض مشتركات الفكر الديني، وصولاً إلى تعريف الدين بأنه «مجموعة من المعتقدات والممارسات التي تتعلّق بالمقدّس، وتتضمّن نظاماً للقيم والمعايير، وتعبيرات رمزية وطقوساً وشعائر، وتنظّم علاقة الإنسان بالمقدّس وبالآخرين وبالعالم».

أوراق

حرف الطاء وزهرة القطن

زكريا محمد *

قدمت في مادة الأسبوع الماضي مقترحاً لحل مشكلة في الأصل التصويري لحرف اللام في الأبجديات السامية من خلال اللغة العربية، وتوصلت إلى أنّ صورة هذا الحرف في الأصل هي صورة حية متطوية. وفي هذه المادة أحاول أن أحلّ أمر حرف الطاء استناداً إلى اللغة العربية أيضاً.

واسم هذا الحرف بالعبرية «طِيت، طيث» وباليونانية «ثيتا» وبالجعزية الحبشية «طَيْت» وبالعربية «طاء». ومن الواضح أن كل هذه الصيغ منبثقة من أصل واحد. ويتمثل حرف الطاء في الأبجدية السينائية، وفي الأبجديات التي أعقبتها، بدائرة بداخلها صليب. وأدناه صورة لهذا الحرف في نقش سينائي، وأخرى في نقش من عزبة سرطة قرب «كفر قاسم»، ثم في نقش على سهم من فلسطين أيضاً.

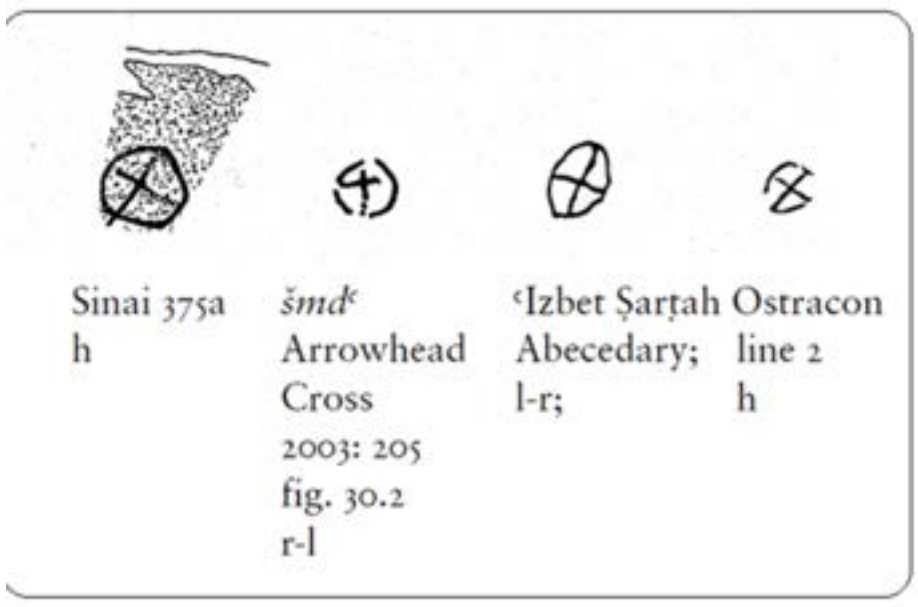

ويعتقد الباحثون أن علامة هذا الحرف مأخوذة من العلامة المخصصة المصرية الهيروغليفية O49 وهي تتكوّن من صليب مزودج الخط داخل دائرة.

وتشير العلامة المصرية هذه إلى مدينة أو قرية أو منطقة مأهولة. أما في أبجديات شمال الجزيرة العربية، فيبدو أن حرف الطاء في الخط التيماني على وجه الخصوص على علاقة بالدائرة والصليب. فهو يتكون من مستطيل بداخله صليب.

بذا، فقد تربّعت الدائرة بشكل ما، لكن الصليب ظلّ كما هو.

والاتجاه الأكثر شيوعاً أن الطاء مشكّلة من صورتين اثنتين: صورة حرف التاء التي تأخذ شكل صليب، وصورة العين التي تأخذ شكل دائرة. لكن هذا الاقتراح ضعيف وغير مقنع البتة، وهو يعكس في الواقع عدم قدرة الباحثين على اكتشاف الأصل التصويري لهذا الحرف. كما أنه اقتراح يخالف بشدة المبدأ «التصويري - الصوتي» الذي يقضي بوجود صلة بين صورة الحرف الأصلية وبين اسمه. فوق ذلك، فهل يعقل أنّ من ابتدع أسماء الأبجدية عجز عن العثور على شيء ملموس يبدأ اسمه بصوت الطاء، فاضطر إلى تركيب تاء وعين لكي يمثل صوت الطاء؟

وهناك من اقترح أنّ الاسم يعود إلى الكلمة الأكادية «طيطون» التي تعني: طين، وحل، طوب. كما أنّ هناك من اقترح أن الأصل التصويري قد يكون هو: المغزل.

أما أنا، فراغب في أن أتقدم باقتراح بسيط جداً، لكنه مع ذلك يبدو قادراً على كشف لغز الأصل التصويري لحرف الطاء. يقول الاقتراح بأنّ الأصل التصويري لهذا الحرف هو: زهرة القطن.

فالقطن في العربية يسمى: الطوط. يقول أمية بن الصلت:

والطوط نزرعه فنلبسه
والصوف نجتزّه ما أردف الوبر.

ويفصل لسان العرب: «الطُّوطُ: القُطْن؛ قال [ابن الصلت]: من المُدَمْقَسِ أَو مِن فاخِرِ الطُّوطِ. وقيل: الطُّوط قُطن البَرْدِيّ خاصّة؛ وأَنشد ابن خالويه لأُمية [ابن الصلت]: والطُّوطُ نَزْرَعُه أَغَنّ جِراؤه،/ فيه اللِّباسُ لِكُلِّ حَوْلٍ يُعْضَدُ. أَغَنُّ: ناعِمُ مُلْتَفّ، وجِراؤه: جَوْزُه، الواحد جِرْو. ويُعْضَدُ: يُوَشّى» (لسان العرب).

يضيف الزبيدي: «والطوط: القطن، نقله الجوهري، وأنشد هو لرجل من جرم: صفراء مُلْحَمَة حيكت نمانمها/ من المدمقش أو من فاخر الطوط... وقال أبو حنيفة: وزعم بعض الرواة أن الطوط: قطن البردي خاصة، وأنشد ابن خالويه لأمية بن الصلت: والطوط نزرعه أغنّ جراؤه/ فيه اللباس لكل حول يعضد» (الزبيدي، تاج العروس).

ويقول القاموس المحيط: «طُوطٌ: الحَيَّةُ، والقُطْنُ، والطويلُ، كالطاطِ والطِّيطِ، والباشِقُ، والخُفَّاشُ، والصغيرُ، والشديدُ الخُصُومَةِ، والشُّجاعُ» (القاموس المحيط). ويزيد: «والطيط، بالكسر: الأحمق، والطيطان، كتيجان، الكراث البري، الواحدة بهاء» (القاموس المحيط). يزيد الزبيدي: «وحكى الأزهري عن الليث في جمعه طاطون. وفحول طاطة، قال: ويجوز في الشعر قول طاطات وأطواط وفحل طاط، وقد طاط يطوط طووطا، والكلمة واوية ويائية» (الزبيدي، تاج العروس).

إذن، فالطوط هو القطن، أو هو في الحقيقة زهرة القطن. لكن الاسم يطلق في ما يبدو أيضاً على زهرة البردي وزهرة الكراث البري أيضاً. وإذا صح هذا، فهو اسم لزهور قطنية أو قريبة الشكل من الزهور القطنية. لكن الأهم أنّ جذر الكلمة يائي وواوي معاً في ما يبدو. وهو ما يتيح افتراض أننا مع «اطوط وطيط». يؤيد هذا أن تيجان الكراث البري تجمع على طيطان، وهو ما يشير إلى أن مفردها: «طيط». بذا، يمكن الافتراض أن اسم الحرف في الأبجدية مأخوذ عن الصيغة اليائية «طيط».

انطلاقاً من هذا، تبدو الصيغة الجعزية الحبشية طَيْط ṭayṭ هي الأقرب للصيغة الأصلية لاسم الحرف في الأبجدية. وهي صيغة مماثلة للصيغة العربية. وما دامت الكلمة لا تعني شيئاً في الجعزية، فيمكن الحكم بأنها مستوردة من الجزيرة العربية، بناء على ذلك. أما الصيغتان العبرية واليونانية، فيجب أن تكونا على علاقة بالصيغتين العربية والحبشية، سواء أخذت منهما، أو أخذت من لغة سامية أخرى تسمّي القطن من الجذر (طوط، طيط) ذاته لكن على طريقتها.

لكن الأهم أن زهرة القطن توحي بتشابه كبير مع صورة حرف الطاء (الطيط)، كما نرى في الصور والمرسومات أدناه.

وكما نرى في الصور، فزهرة القطن تبدو دائرة مقسومة بأربعة أو خمسة خطوط. وحين تكون بأربعة خطوط، فإن هذه الخطوط تتبدى كصليب في واقع في الأمر. وهذا يعني أن زهرة القطن تتكوّن عملياً من دائرة وصليب. ومن هذه الدائرة والصليب حصلنا على حرف الطاء في الأبجديات السامية.

وهكذا توافق اسم الحرف مع أصله التصويري توافقاً تاماً.

* شاعر فلسطيني